ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1057 - الجمعة 6 محرم 1425 هـ - الموافق 26 فبراير 2004

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

تذكير النفس المؤمنة

تهاني رابطة علماء المغرب بحلول السنة الهجرية الجديدة 1425هـ

يحتفل العالم الاسلامي بطلعة السنة الهجرية الجديدة ١٤٢٥هـ، وبهذه المناسبة السعيدة تتقدم رابطة علماء المغرب وأسرة تحرير جريدتها "ميثاق الرابطة" ومجلتها "الاحياء" وكتابهما الأفاضل الى أمير المؤمنين حامي حمى الملة والدين والمدافع عن حوزة هذا البلد الأمين جلالة الملك محمد السادس نصره الله وأعز أمره بتهانيها الخالصة، داعية له بالتوفيق والسداد، حتى يحقق لأمته ماتتطلع اليه من عز ومجد، وأن يجمع الله على يديه كلمة المسلمين ويوحد صفهم، ويحرر بجهوده الحكيمة والرشيدة مقدسات المسلمين في القدس الشريف، ويعم بجهوده الحثيثة السلم والسلام والوئام بين سائر الأنام، بجاه جده الأمين خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، وأن يحفظه في ولي عهده الأمير مولاي الحسن و يشد أزره بشقيقه السعيد مولاي رشيد وبجميع أفراد الأسرة الملكية الشريفة، وأن يعيد أمثال هذه الذكرى السعيدة على الشعب المغربي والأمة الاسلامية وقد تحقق لهما الأمن والأمان، والتقدم والرخاء، إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

الزكـــاة

اعتنى الإسلام بجميع جوانب حياة الإنسان وأرشده لما فيه مصلحته في دار الدنيا ودار الآخرة، ومن جوانب اعتنائه بهذا الكائن البشري أمره له بالعمل وعدم إضاعته للوقت بحيث يشغل العامل الزمني فيما هو أجدى وأنفع وحثه على إغناء نفسه عن الغير بجمع المال بالطرق الحلال، لكن إذا يسر الله للمسلم بأن حصل له من المال ما تجب عليه الزكاة فيه فقد فرض عليه ديننا الإسلامي أن يعطيها للمستحق فتؤخذ من الغني وتعطى لمصرفها قال تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها سورة: التوبة، وقال تعالى: "وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة سورة: البقرة، وجعل النبي عليه الصلاة والسلام الزكاة من أركان الإسلام الخمسة بقوله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان) حديث متفق عليه، وورد في فرضية الزكاة ووجوبها على المسلم المالك النصاب مما تخرج منه عدة آيات قرآنية وأحاديث نبوية وفي مشروعيتها وأدائها على حقيقتها من إبعاد الشح عن النفس وإظهار الاعتناء بالمحتاجين ما يورث التعاطف ويبرز التكافل الاجتماعي في أسمى معانيه.

إن هذا الاعتناء بالفقراء المفروض على الأغنياء يبعث التعاطف بين شرائح المجتمع كما أنه يحد من الفوارق الطبقية بأسلوب مرن حكيم لا يضر الغني وينفع المحتاج، ولا يترك للأثرياء منفذا يتسرب منه التضخم المالي بأيديهم دون أن يؤدوا حقه وتنتفع منه الأصناف الثمانية التي عدها الله في كتابه وهي: "إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم"، فإذا قام الميسورون بإعطاء ما فرض الله عليهم لأولئك الذين بين الله أنهم أهل لها ومكنوهم منها بصدق وتورع وشفافية مطلقة فذلك فيه من محاربة الفقر ما لا يزيد عليه، وفي إعطاء الزكاة على حقيقتها من المحاربة للبطالة الحظ الوافر، فإن هي صرفت وفق ما نص عليه الكتاب والسنة فستسد خلة الكثير من المستحقين كالفقير مثلا وهو (من لم يكن لديه من المال ما يسد حاجته وحاجة من يعول من طعام وشراب وملبس ومسكن وإن ملك نصابا من المال)، والمسكين وقد بين صلى الله عليه وسلم نوعه وحدد صفته بقوله صلى الله عليه وسلم: (ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس) صحيح البخاري.

والعاملون عليها وهم السعاة المكلفون بأخذها ممن تجب عليه لقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تحل الصدقة لغني إلا لخمسة: العامل عليها أو رجل اشتراها بماله أو غارم أو غاز في سبيل الله أو مسكين تصدق عليه منها فأهدى منها لغني).

وبين عليه الصلاة والسلام أن غير المحتاج لا حظ له في الزكاة لقوله عليه الصلاة والسلام: (لا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب) وتوزع على المحتاجين من الساكنة المجاورين لمن تجب عليهم وإذا لم يأت الساعي لأخذ الزكاة ولم يجد الغني في البلد الذي هو فيه أحدا من مستحقيها فعليه أن ينقلها للبلد الذي يليه حتى يتمكن من تسليمها لمن تصرف إليه الزكاة شرعا كي تعم المساعدة المادية الجميع ولا يبقى محتاج، وللإمام أن يوزعها على من شاء من المستحقين كتابا وسنة، كما أنه على مخرجها أن ينوي إعطاءها قبل أن يسلمها للمستحق لقوله عليه الصلاة والسلام: (إنما الأعمال بالنيات.....) وأن يؤديها قاصدا بذلك وجه الله وتأدية المفروض عليه بإخلاص امتثالا لقوله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" سورة: البينة.

ومن المعلوم أن الزكاة تجب في الحرث والعين والماشية والنصاب في هذه الأشياء التي تجب الزكاة فيها مبين في كتب الفقه بتفصيل مبسط.

ففي إخراج الزكاة وإعطائها للمستحقين أكبر مصلحة تخدم المحتاجين وتعين المستضعفين وتحارب الفقر وتنشر الألفة والمحبة بين الأغنياء وباقي فصائل المجتمع الكادحة التي تخدم لتحصل على قوت يومها، وهذا الالتفات المفروض على الميسورين من المسلمين فيه جلب المحبة والعطف على المساكين ويحمل في طياته روح التعاطف والتواد المطلوب تقويته بين أفراد المجتمع الإسلامي، قال عليه الصلاة والسلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى). والزكاة تبعد عن الأثرياء روح الشح إن هي أديت على حقيقتها بورع وطيب نفس قال تعالى: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" سورة: الحشر، وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: (بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) متفق عليه.

فاللهم اهدنا لما فيه صلاح حالنا ومآلنا إنك على كل شيء قدير.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العدل والعدالة في التوجيه الديني

متابعة العدل الاجتماعي

في الحديث السابق تناولنا موضوع العدل مع خدم المنازل ورأينا التوجيه الإسلامي في الموضوع ولو باختصار، ونتابع اليوم الكلام منطلقين في نفس التوجيه الديني للاهتمام بالجانب الاجتماعي في الحياة الإسلامية ونخصص هذه الحلقة للعدل في الأجر الذي يعطى مقابل جهد وعمل.

الأجر هو الجزاء الذي يعطى للغير نتيجة عمله الذي قدمه.

والمؤمن المسلم الملتزم مع الله في أوامره ونواهيه له عند الله أجر عظيم، والله أعدل العادلين وأرحم الراحمين وفي موضوع الأجر الإلاهي نورد بعض الآيات القرآنية التي تخصصه بالذكر، ففي سورة آل عمران الآية 171 يقول الله تعالى: "وأن الله لايضيع أجر المؤمنين" وفي سورة الكهف الآية رقم 30 "انا لانضيع أجر من أحسن عملا" وفي سورة فصلت الآية 8 يقول الله تبارك وتعالى: (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون" وقد وردت أربع وتسعون آية في القرآن الكريم تتحدث عن الأجر والجزاء الإلاهي، للعاملين الصالحين من المسلمين المومنين الذين يتبعون أمر الله ويجتنبون نهيه.

وتحدث القرآن الكريم عن الأجر الآخر الذي ينظم العلاقة بين الناس ويكون نتيجة عمل يقوم به شخص لفائدة غيره.

ونبدأ في هذا الموضوع بسلوك سيدنا موسى عليه السلام عندما خرج من قريته بعد ما بلغه أن الملأ يأتمرون عليه ليقتلوه، فخرج خائفا يترقب داعيا الله أن ينجيه من الظالمين، ولما ورد ماء مدين وجد زحاما من الناس يسقون ، وبعيدا عنهم امرأتان لم تستطيعا الدخول للسقي وسط الزحام، فتطوع ليسقي لهما، وذهب إلى ظل شجرة يستريح من تعب السفر والفرار من الظلم والعدوان ويسجل ذلك قول الله تعالى: "فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير" وكان الله تعالى أطلعه على ماسيحدث له بعد قليل، فجاءت إحدى المرأتين تمشي على استحياء، "قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فكان والد المرأتين من العادلين في الحياة الاجتماعية، فلم يرد أن يترك عملا قام به شخص متطوعا لابنتيه وحفظهما من الزحام وتوابعه أو الانتظار الطويل، "إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا والله عز وجل يرتب الأمور حسب أسبابها ليصل بنا إلى النتائج.

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي يحط بقوص على شاطئ النيل

■ كان التجيبي في رحلته بالنيل يركب سفينة مع جماعة من الحجاج المغاربة وعاين في هذه الرحلة جملة من التماسيح، ويقول عنها إنها: شديدة الضرر، وفي خلقها عجائب وأمور اختصت بها من بين سائر الحيوانات كلها... ووصلت السفينة إلى قوص بعد ثلاثة وعشرين يوما من الإبحار في نهر النيل ويقول : "كان سفرنا بحمد الله إلى (قوص) سفرا سهلا هينا، كثير التنزه والأنس والخيرات، ما رأينا، قط، سفرا مثله، ولاحسبنا أن سفرا يكون هكذا..." وقوص، يقول عنها: "مدينة عظيمة آهلة عامرة، من أكبر المدن الشهيرة التي رأيناها بهذا الصعيد، ومن أحفلها بناء، وهي أرتب من مصر . القاهرة . وأتقن، وهو يطلق مصر على القاهرة على عادة المصريين . غزيرة المرافق، كثيرة الخلائق، يجتمع فيها الصادر والوارد من التجار الواصلين من اليمن والهند والحبشة، المدعوين بالأكارم، ومن المصريين، والاسكندريين وغيرهم، فيها من بضائع الهند مالا يوجد في غيرها من المدن العظام المشهورة بذلك..."

وبعد ذلك يقول: إنها كثيرة النخل والأعناب والفواكه، وبها شجر التوت الأبيض الطيب الطعم، ونزل هو ورفاقه بالخان الكبير المعروف بالفندق المكرم، وبه ينزل التجار وفضلوا النزول به رغم يسر النزول بالدور، قصد الاتصال بالجمالين الذين يعرفون الطرقات، ويقول بعد ذلك: "واعتنى بنا أمير البلدة وجهاتها، وبالغ في تأنيسنا، وسبب ذلك أن الصاحب الأجل الأفضل الأثير المحترم الوجيه عمدة التجار.. ابن حنا جزاه الله عنا أفضل الجزاء، كتب في حقنا كتابا حافلا للأمير المذكور يتضمن الاعتناء بنا... إلى أن يقول: "وبالجملة فأهل الوجاهة والرئاسة في هذه البلاد يعتنون بالحجاج...

ويبدو من خلال المقارنة بين مايذكره العبدري في رحلته وبين مايذكره التجيبي أن هذا الأخير كان أكثر حظا في سفره، فالعبدري كثير الشكوى، وكثير الانتقاد، وكان صريحا ناقدا يقول ما يلاحظه على الناس في طريقة سلوكهم ومعاملتهم ولو كان موجعا، بينما التجيبي كان شخصية محبوبة وصاحب خطاب مهذب لطيف متفائل ولين، ويظهر ذلك من خلال وصفهما للبلدان، والشيوخ، ومن خلال الحديث مع من يزورانه ويلتقيان به، وليس بين رحلتيهما وقت طويل، فالعبدري رحل سنة 688هـ وبعده رحل التجيبي سنة 696هـ وقبلهما رحل ابن رشيد سنة: 685هـ والغالب على ابن رشيد أنه مثل بلدية التجيبي، ثلاثتهم التقى بالقاهرة بالشيخ ابن دقيق العيد وغيره من كبار علمائها، لكن العبدري بعدما وصف الشيخ بالعلم والإمامة، وذكرما أخذه عنه، لاحظ على الشيخ أنه كثير الوسواس، وأنه يبالغ في ذلك، لايسلم على طلبته بيده ويقلب أوراق كتبه بعود فتية مسها... والتجيبي ذكر شيئا من ذلك، لكن في أسلوب مهذب لايشعر القارئ بالانتقاد أو التنقيص من قدر الشيخ، ولم يذكر التفاصيل عن وسواسه كما ذكر ذلك العبدري أمابن رشيد فقد أخذ عنه كثيرا، وكتب في ذلك صفحات عديدة...

والتجيبي في "قوص" يحمل للقارئ بشرى استبشر بها الحجاج المغاربة وغيرهم، وتتمثل هذه البشرى في الرسالة الملكية الواردة من ملك مصر في شأن اسقاط الضرائب والمكوس التي كان يأخذها عماله من الحجاج التجار منهم وغيرهم، ومن هذه البشرى يقول: "إثر فراغنا من صلاة الجمعة، قام رئيس المؤذنين، وأمر الناس بالقعود لسماع مرسوم كريم وصل من قبل السلطان الأجل، فقعدوا وصعد الخطيب المنبر، واندفع جماعة من القراء بين يديه يتلون قوله تبارك وتعالى : "الحج أشهر معلومات"(البقرة/الآية:197)وجعلوا يكررونها بأصوات حسنة، ويرددونها بالتلاحين العجيبة، مترسلين على عادتهم في هذه البلاد المشرقية، ونمقوا أصواتهم بذلك أي تنسيق، وأجروا الدموع على الخدود، وشوقوا إلى الحرم الشريف أي تشويق، ثم لما أنصتوا خطب الخطيب خطبة مختصرة في فضل الحج، ثم قرأ الكتاب الواصل من الملك الأجل أبي الفتح، وكان مضمونه أن لايتعرض أحد من عماله، ولانوابه لأحد من الحجاج، وأن تسقط عنهم الملازم كلها التي كانت تؤخذ منهم بقوص، وغيرها من بلاده، وأن يترك التعرض لهم جملة كافية، والله تعالى ينفعه بقصده الجميل، ويثيبه على ذلك الجنة بفضله ورحمته".

التجيبي ينظر إلى الدنيا بمنظار متفائل، ولذا فهو يسجل مايبهج ويسر، ويعرض عما يكدر ويؤلم، بينما نجد ابن جبيروالعبدري في رحلتيهما، يكثران من الشكوى والتذمر لحديثهما عن الاسكندرية والقاهرة، أما حديث ابن جبير عن ميناء عزاب على البحر الاحمر فإنه يثير في القارئ الألم والأسى. كحديث العبدري عن الاسكندرية والقاهرة، ومهما يكن من أمر فإن التجيبي يكون أكثر سرورا وابتهاجا عندما يزور عالما أويلتقي به، فبذلك ينسى كل أتعابه، ومحن السفر ومشاقه، وفي قوص يرافقه حظه في لقاء العلماء حيث التقى بعالم جليل وهو الشيخ بهاء الدين القفطي الذي يقول عنه " الشيخ الفقيه الامام الفاضل العالم العلم المتفنن المعمر الصدوق الصالح الخير أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل، العذري نسبا الشافعي ثم الاشعري مذهبا، القفطي مولدا القوصي منزلا المنعوت بالبهاء، المشهور بالقفطي نفع الله به، أحد الأئمة الفضلاء والاعلام، ممن عنده ميز لكثير من العلوم، ولديه تحقيق وتدقيق للنص، والمفهوم، وقد أقرأ وأفاد، وصنف التصانيف المفيدة منذ سنين عديدة، ومد الله تعالى في عمره، حتى انتفع به كثيرون، والدراية أغلب عليه من الرواية، وهو أقدم من لقيته في وجهتي هذه. ش.فعها الله تعالى بأمثالها. مولدا من اهل العلم، على أنه لم يسمع على قدر سنه، والسماع رزق يرزقه الله تعالى من يشاء من عباده، وهو بهي المنظر والمخبر، طويل القامة حسن اللبسة والشارة، وقور، رأيت بيده خاتما عظيما، مارأيت في يد أحد المشايخ خاتما على قدره، قرأت عليه منقوشا . أي على الخاتم . أعوذ بكلمة الله التامة من غضبه، وأليم عقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون، ولعله أخذ ذلك مما رويناه عن عبد الله بن عمر، فيما أخبرنا الإمام رضي الدين أبو إسحاق بن محمد سماعا بمكة قال أخبرنا سليمان بن خليل. ويعقوب بن أبي بكر، قالا أخبرنا زاهر بن رستم، قال أخبرنا أبو الفتح الكروخي قا ل: أخبرنا أبو عامر، وأبو بكر وأبو نصر. قالوا أخبرنا عبد الجبار، قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبي، قال حدثنا أبو عيسى الترمذي، قال حدثنا علي بن محمد، حدثنا إسماعيل ابن عياش عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب، عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "إذا فزع أحدكم من النوم فليقل: أعوذ بكلمة الله التامة من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأن يحضرون" فإنها لاتضره" قال: وكان عبد الله بن عمر يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في عنقه، والله تعالى أعلم".

وبعد هذا التعريف بالشيخ، وذكر بعض أحواله وصفاته يحدثنا التجيبي عن السماع منه بقوص بسنده عن شيوخه، ويذكر الشيخ وقت الأخذ، وظروفه، وما كان منه في السفر، وما كان في الحضر، ويتخلل ذلك حكايات وكرامات يخبر بها الشيخ المستمعين له، ومما قاله له الشيخ: "فراق الفجرة من شيم البررة" لأن جليس السوء يعدي، قال عليه السلام "جليس السوء كنافخ الكير، إما أن يمزق ثيابك، وإما أن تجد ريحا خبيثة" . والحديث في الصحيح . ثم قال . أي الشيخ . ومعنى هذا المثل: ألا يسلم من سوء خلقه أو معرة صحبته، قال الفقيه أمين الدين مما نقل عنه شعرا،

عليك بأرباب الصدور فمن غدا
مضافا لأرباب الصدور تصدرا
وإياك أن ترضى صحبة ساقط
فتنحط قدرا عن علاك وتحقرا
فرفع أناس وخفض مزمل
يحقق قولي مغربا ومحذرا

ويقول التجيبي بعد هذا: سألت شيخنا الامام بهاء الدين عن مولده فقال لنا: ولدت سنة ستمائة، فيما أحسب بقفط، قلت . أي التجيبي . قفط تقييدها بكسر القاف وسكون أختها، وهي بليدة صغيرة من بليدات الصعيد الأعلى بينها وبين قوص نحو خمسة عشر ميلا، أو ما يقرب من ذلك، وبينها وبين النيل نحو ثلاثة أميال، وبغرب هذه البليدة أشجار كثيفة، ليس فيها إلا شجر السنط الذي هو خطب الديار المصرية، والمراكب توسق به من هذه البليدة إلى سائر البلاد المذكورة مصر وغيرها".

هكذا يزاوج التجيبي بين أخباره العلمية وبين معلومات جغرافية تعرف القارئ بجوانب من بلاد الصعيد المصري، وبذلك تتم الفائدة، ويتم التعريف بالشيخ.

بهاء الدين القفطي

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

(تتمة ص:1)

ولما علم الأب بقصة الرجل قالت إحدى البنتين "ياأبت استأجره، إن خير من استأجرت القوي الأمين"، وكانت رؤية والد البنتين أبعد في ربط أواصر المودة مع الرجل فعرض عليه أن يزوجه إحدى المرأتين، وأن صداقه لها سيكون العمل معه ثماني سنوات، فإن أتم عشرا فمن عنده. رأى سيدنا موسى أنه أصبح صهرا وعمله يكون له ولأسرته وللأب ولبقية الأبناء ورأى فيه الخير الذي طلبه "إني لما أنزلت إلى من خير فقير". وقبل موسى العقد الاجتماعي للعمل والأجر المتفق عليه، وأنه لاعدوان عليه إذا استمر حتى نهاية عشرة أعوام، وكل ذلك يراه عدلا لاظلم فيه، "أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي" ويشهد الله على سريرته "والله على مانقول وكيل".

ويتقدم التاريخ بسيدنا موسى ويصل إلى مرحلة المبارزة مع السحرة أمام فرعون، ويشترط السحرة أن يكون لهم أجر من فرعون على مبارزتهم إن كانوا هم الغالبين، واعتبر ذلك عقد عمل بين الطرفين، ويثبت ذلك القرآن الكريم في سورتين. في الاعراف الآية113 وفي الشعراء الآية41 "وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا" "فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أئن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين" ويسجل القرآن أن الأجر لم يكن أجر فرعون ولكن الأجر كان من عند الله لأن الغلبة كانت لنبي الله، وآمن السحرة بنبوة موسى "قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون" ويمكن أن نقول بأن الأجر من فرعون للسحرة كان عظيما لايعد بالحساب، لأنه هيأ لهم سبب الإيمان بالله عز وجل وبنبوة رسوله، وقالوا في النهاية "ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين".

وفي سورة الطلاق يتعرض القرآن الكريم لأجر آخر متابل عمل لاتقوم به في هذه الحالة إلا المرأة وهي أولى بالعدل الاجتماعي في هذا المكان وإن كانت لها رابطة البنوة، بقول الله تعالى في سورة الطلاق في الآية السادسة: "وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن".

الملف الذي حكم الله فيه في هذه الآية وهو أعدل الحاكمين يتعلق بالمرأة التي تطلق وتكون حاملا، فزيادة على النفقة خلال الحمل والتي تدخل في فترة العدة لأن المطلقة الحامل عدتها تنتهي بوضع حملها، فإذا أرضعت ولدها بعد الوضع فإنها تستحق الأجرة عن الرضاع، بما يقدره الشرع، وهذا عقد بين الأب المطلق والأم المرضع وضع شروطه الله عزوجل، ولامفر من تنفيذه، إن هذا وضع اجتماعي أسري له حساسية خاصة قضى فيه الله عز وجل بحكم نهائي لايقبل الطعن أو النقض إلا ممن يطعن في عقيدته أو إيمانه، ورغم أن الأم هي طرف في العلاقة الأسرية مع الولد، ولكن الله عز وجل جعل التكاليف المادية على كاهل الزوج الأب، وجعل مقابل ذلك الالتزامات الروحية والعاطفية والإحسانية على الأم لتكون نشأة الولد في ود ورحمة.

ونتابع وقفتنا مع العدل الاجتماعي في العدد المقبل إن شاء الله.

الوثاق

قانون علم المنطق

1/2

الحمد لله هذا تقييد ما تمس الحاجة إليه من علم المنطق وهو قانون تعصم مراعاته بتوفيق الله، الذهن من الخطإ في فكره، لأنه يصف طريق التوصل إلى المطلوب، من تصور أو تصديق، فالتصدق هو الإدراك بلا حكم، والتصديق هو الإدراك بحكم، والموصل للتصور هو المعرفات الموصل للتصديق هو الحجج.

■ الأستاذ: إدريس كرم

■ والمنطق يبين كيفية التوصل بهما، ولكل واحد منهما مبادئ، أما مبادئ المعرفات هي الكليات الخمس، والكلي هو اللفظ الدال على معنى لا يمنع تصوره، من وقوع الشركة فيه فيصدق بالمستحيل كشريك الإلاه وبما يمكن وجوده، ولم يوجد كعنقا، وجبل من ياقوت، وبما أو وجد منه فرد واحد مع عدم إمكان غيره كليا، ومع إمكانه كشمس أو وجد افراد كإنسان.

ثم الكلي ان أخذ من حيث هو فنوع كإنسان وان أخذ من حيث هو جزء من الماهية، فإن كان أعم منها فهو جنس لها، كحيوان أو مساويا لها، فهو فصل لها، كناطق وإن أخذ من حيث هو خارج عنها، فإن كان أيضا أعم منها فهو عرض عام لها، كمتنفس أو مساويا لها فهو خاصة لها كضاحك.

ويسمى جزء الماهية كليا ذاتيا ويسمى الخارج عنها كليا عرضيا، ويقابل الكلي الجزئي وهو ما يمنع تصوره من وقوع الشركة فيه، والكلي والجزئي هو النكرة والمعرفة عند النحات.

❖ ❖ ❖

فصل المعرف للحقيقة ما حضوره بالبال سبب لمعرفتها بشرط حمله عليها، وسبب الجهل بتلك الحقيقة هو الذهول عن المعرف، والمعرف قسمان الأول الحدُ وهو ما ذكر فيه الفصل فإن كان الفصل وحده أو مع جنس بعيد كالناطق أو الجسم الناطق في تعريف الإنسان، فحد ناقص وإن كان مع جنسه وليا كالحيوان الناطق فحد تام، والثاني الرسم وهو ما ذكر فيه الخاصة فإن كانت أيضا وحدها أو مع جنس بعيد كالضاحك أو الجسم الضاحك فناقص، وإن كانت مع جنس قريب كالحيوان الضاحك فتام، ومن الرسم التعريف بالمثال أو بلفظ مرادف كالقمح والبر.

❖ ❖ ❖

ويشترط في المعرف أو يكون معروفا وان يكون مساويا للمعرف، فيكون مطردا أي كلما وجد احداهما وجد الآخر منعكسا، أي كلما انتفا أحدهما انتفى الآخر، وأجاز الأقدمون التعريف بالأعم وكأنهم لا يشترطون الإطراد.

❖ ❖ ❖

فائدة كل معقولين فلا يخلوا من نسب أربع، إما المساواة بأن لا يفترقا أبدا في صحة حملهما على شيء واحد، كالإنسان والناطق، وإما المبيانية بأن لا يجتمعا أبدا كالإنسان والفرس، وإما للعموم من وجه.

فإن كانا تارة يجتمعان وتارة ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه كالحمد والشكر، وكالأبيض، وأما العموم المطلق فإن كان أحدهما ينفرد كالإنسان والحيوان فالذي ينفرد هو الأعم لأنه أكثر إفرادا وأقل قيودا وعكسه الخاص، وأما مبادئ الحجج فهي القضايا والقضية اللفظ المحتمل الصدق والكذب بالنظر لذاته أي لمفهومه وهي ثلاثة أقسام.

❖ ❖ ❖

الأول حملية وهي التي حكم فيها بإسناد شيء لشيء في الإثبات أو رفعه في النفي كزيد قائم وزيد ليس بعالم.

والثاني الشرطية المتصلة وهي التي حكم فيها بتعليق شيء على شيء ورفعه عنه لزومية إن كان التعليق لموجب نحو إن طلعت الشمس وجد النهار وليس إن طلعت الشمس ظهر الكواكب واتفاقية ان التعليق اتفاقا نحو ان كانت الشمس طالعة كان الإنسان ناطقا.

والثالث الشرطية المنفصلة وهي التي حكم بمعاندة شيء لشيء أو رفعه عنه وإن كان المعاند في الصدق والكذب أي في النفي والإثبات فحقيقة تتركب من الشيء ونقيضه أو المساوي لنقيضه نحو إما أن يكون الموجود قديما وإما أن يكون ليس قديما وإما أن يكون الموجود قديما وإما أن يكون حادثا، وإن كان في الكذب فقط فمانعة خلو نحو لا يخلو اما ان يكون الشيء حيوانا واما ان يكون ليس إنسانا واما ان يكون زيد في البحر واما الا يغرق.

ومثال السالبة ليس اما كون الإنسان حيا واما ان يكون عالما وليس اما ان تكون الكلمة حرفا واما ان تكون إسما، ان قصدت أنها مانعة خلو، وتسمى جملة الشرط في الشرطية مقدما وتسمى جملة الجزاء تاليا.

❖ ❖ ❖

ثم القضية الحملية لابد فيها من محكوم عليه ويسمى موضوعا ومن محكوم به ويسمى محمولا، ولابد من نسبة بينهما ويسمى اللفظ الدال عليها رابطة، وتسمى كيفية النسبة مادة، ويسمى اللفظ الدال عليها جهة، والكيفية إما ضرورة نحو كل إنسان حيوان بالضرورة، ولاشيء من الإنسان بحجر بالضرورة، وإما إمكان، نحو كل إنسان ملى بالامكان، ولا شيء من الإنسان بملي بالإمكان، وإما دوام نحو كل فلك متحرك دائما ولاشيء من الفلك بساكن دائما واما إطلاق نحو كل إنسان ميت بالإطلاق، ولا شيء من الإنسان بميت بالإطلاق.

❖ ❖ ❖

ثم القضية إن قرنت بما يدل على تعميم الإفراد في الحملية أو الأوضاع في الشرطية، فهي كلية نحو كل إنسان حيوان، وكلما كان إنسانا كان حيوانا، وإن قرنت بما يدل على التبعيض ذلك فهي جزئية نحو بعض الحيوان إنسان وقد يكون ان كان حيوانا كان إنسانا، وان لم تقترن بشيء، فإن الموضوع جزءيا في الحملية فهي شخصية كزيد عالم وإن كان كليا فهي مهملة نحو الإنسان عالم، وإن كان المقدم مفيدا في الشرطية فمخصوصة نحو كل ما كان جاء زيد ضاحكا، أو يوم الجمعة أكرمته، وإلا فمهلمة، نحو كل ما جاء زيد أكرمته وما يدل علي التعميم والتبعيض يسمى سور، فيدل على التعميم في الإثبات، كل وجميع وما في معناهما، نحو كل جرم متغير وجميع المتغير حادث، ونحو لاشيء ولا واحد في السلب، نحو لا شيء من الجرم بقديم ولا واحد من الجائز بغنى عن الفاعل، ويدل على التبعيض في الإثبات بعض وواحد، نحو بعض الذات جرم وواحد من الصفات عرض، وفي السلب ليس كل وليس بعض، نحو ليس كل حيوان إنسانا، فهذه أربع.

❖ ❖ ❖

والشخصية والمهملة موجبة وسالبة نحو زيد عالم وزيد ليس بعالم، والحيوان إنسان وليس الحيوان بإنسان فهذه قضايا ثمانية، وكل واحدة منهما اما محصلة أو معدولة والتحصيل أن يكون المحمول وهو ما بعد الرابطة ليس سلبيا نحو زيد هو غير عالم، والموجبة سواء كانت محصلة أو معدولة تقتضي وجود الموضوع، أي لابد في صرفها من وجود موضوعها، والسالبة لا تقتضيه، نحو ليس ولد زيد بعالم، وسور الايجاب الكلي في المتصلة كلما ومهما، نحو كلما طلعت الشمس وجد النهار، وفي المنفصلة دائما إما أن يكون إنسانا واما أن يكون ليس بحيوان، وسور السلب الكلي فيهما ليس البتة نحو ليس البتة إن كان إنسانا كان حيوان، وليس البتة إما أن يكون إنسانا وإما أن يكون ناطقا، والسور الايجاب.

❖ ❖ ❖

الجزء قد يكون نحو قد يكون إنسانا، حيوانا كان إنسانا وسور السلب الجزءي ليس كلما، وليس دائما، وقد لا يكون نحو ليس كلما كان حيوانا كان إنسانا، والإهمال باق ولو، واذا، في المتصلة، ولفظة إما في المنفصلة.

❖ ❖ ❖

فصل التناقض هو اختلاف قضيتين في الإيجاب والسلب، على وجه يقتضي لمجرد ذلك الإختلاف لزوم صدق أحداهما وكذب الأخرى، بأن تكون النسبة متحدة نحو زيد عالم، وزيد ليس بعالم، لا إن أردت أنه عالم في زمان غير عالم في زمان آخر، فلا يكون تناقض لاختلاف النسبة، وبأن تبدل السور أي الكم وهو الدال على التعميم والتبعيض، وبأن تبدل السور فتنقض الكلية بالجزءية وبالعكس فنقيض كل إنسان حيوان بعض الإنسان وليس بحيوان، ونقيض بعض الإنسان حيوان لا شيء من الإنسان بحيوان ونقيض من شيء من الإنسان بفرس بعض الإنسان وفرس، وحكم المهملة حكم الجزءية، فتنقض بالكلية فنقيض حيوان إنسان لا شيء من الحيوان بإنسان.

❖ ❖ ❖

وأما الشخصية فيكون فيها بتبديل الكيف أي الإيجاب والسلب، نحو زيد عالم وزيد ليس بعالم.

فصل العكس ثلاثة أقسام الأول المستوى وهو تبديل كل واحد من طرفي القضية ذات الترتيب الطبعي بعين الآخر مع بقاء الصدق والكيف على وجه اللزوم، فخرج بقوله ذات الترتيب الطبعي، الشرطية المنفصلة، فإنها لا عكس لها وبقوله على وجه اللزوم عكس الكلية بالكلية، حيث يكون المحمول مساويا للموضوع، نحو كل إنسان ناطق وكل ناطق إنسان، فإن صدقها اتفاقي بدليل قولك كل إنسان حيوان فلا يصح كل حيوان ان إنسان، ويحصل اللزوم، بأن تعكس الموجبات الأربع، وهي الكلية والجزءية والشخصية، والمهملة بالجزءية الموجبة فتقول في نحو كل إنسان حيوان، بعض الحيوان إنسان، وفي نحو زيد إنسان وبعض الإنسان زيد، وفي نحو الإنسان حيوان، بعض الحيوان إنسان، وتعكس الكلية والشخصية السالبتين بالكلية السالبة فتقول في نحو لا شيء من الإنسان، بفرس لا شيء من الفرس بإنسان، وفي نحو ليس زيد بفرس لا شيء من الفرس بزيد، واما الجزءية والمهلمة السالبتين فلا عكس لهما.

❖ ❖ ❖

والثاني عكس النقيض الموافق وهو كالأول، إلا أنك تبدل كل واحد من الطرفين بنقيض الآخر.

والثالث عكس النقيض المخالف وهو تبديل الطرف الأول من القضية ذات الترتيب الطبيعي بنقيض الثاني، والثاني بعين الأول، مع بقاء الصدق دون الكيفية علي وجه اللزوم، ويحصل اللزوم فيهما بأن تعطى الموجبات فيهما حكم السوالب في العكس المستوى، وحكم السوالب فيهما حكم الموجبات فيه، فتنعكس الكلية والشخصية الموجبتين بالكلية.

❖ ❖ ❖

تقول في عكس كل إنسان حيوان، كل لا حيوان لا إنسان، وفي عكس زيد إنسان، كل لا إنسان لا زيد، وأما المهملة والجزئية الموجبتين فلا عكس لهما وتعكس السوالب بالجزءية فتقول في عكس لا شيء من الحيوان بجماد، وفي عكس ليس بعض الحيوان بجماد، وفي عكس ليس الحيوان بجماد ليس بعض الجماد بحيوان وفي ليس زيد بجماد ليس بعض الجماد بزيد.

هذا كله في عكس النقيض الموافق، ومثله في عكس النقيض المخالف، يقول في عكس كل إنسان حيوان، لا شيء من لا حيوان إنسان، وفي عكس زيد إنسان لا شيء من لا إنسان بزيد.

والمهلمة والجزءية الموجبتين لا عكس لهما وتقول في عكس السوالب الأربع المتقدم ذكرها ببعض لا جماد حيوان وبعض لا جماد زيد. ..

(يتبع)

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

في ظلال الحديث: الحديث السادس والتسعون: تذكير النفس المؤمنة بحسن وسوء الخاتمة

نص الحديث:

عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم" رواه البخاري.

الجزء الأول

تخريج الحديث

هذا الحديث جزء من حديث طويل عند البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها ج5/ص2381/ح6128. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب القدر، باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم، وأحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار ح21768، والطبراني في معجمه الكبير ج6/ص143/ح5784.

درجة الحديث

هذا حديث نبوي شريف مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو حديث صحيح كما جاء عند البخاري ورجاله ثقات.

سند الحديث

هذا الحديث أخرجه البخاري في صحيحه فقال: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل بن سعد... وذكر الحديث وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

حدثنا سعيد بن أبي مريم: هو الحافظ الشهير أبو محمد سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم الجمحي مولاهم البصري محدث بلده سمع يحيى بن أيوب ونافع بن يزيد ومالكا والليث وأبا غسان محمد بن مطرف وطائفة وعنه ابن معين والذهلي وعثمان الدارمي والبخاري ويحيى بن عثمان بن صالح وخلق قال أبو داود هو عندي حجة وقال العجلي ثقة وقال ابن يونس كان فقيها ولد سنة 144 ومات سنة 224 كان ثقة كثير الحديث.

حدثنا أبو غسان: هو أبو غسان محمد بن مطرف المدني الحافظ الصدوق سكن عسقلان، حدث عن محمد بن المنكدر وحسان بن عطية وصفوان بن سليم وأبي حازم الأعرج، وروى عنه سفيان الثوري مع تقدمه وابن وهب وآدم بن أبي إياس وعلي بن عياش الحمصي وسعيد بن أبي مريم وغيرهم. وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبو حاتم، مات قبل السبعين مائة.

حدثني أبو حازم: هو أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي مولاهم المدني الأعرج الأفزر التمار القاص الواعظ الزاهد عالم المدينة وقاصها أو شيخها وكان ثقة فقيها ثبتا كثير العلم كبير القدر، وكان يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة من عمره، ولكن قبيل وفاته يقترف السيئات والمعاصي مما يكون سببا في أن يختم له بخاتمة السوء.

2. إنما الأعمال بالخواتيم:

الحديث الذي بين أيدينا جزء من حديث طويل كما جاء في البخاري ومسلم وكتاب السير عن سهل بن سعد الساعدي أن رجلا من المسلمين في إحدى المعارك مع رسول الله أبلى بلاء شديدا، فأعجب الصحابة ذلك، وقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أما إنه من أهل النار" فقال بعض الصحابة: أينا من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار؟ فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، سأنظر ماذا يفعل، فتبعه، قال: فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت، فوضع سيفه في الأرض وذبابه (رأسه الحاد) بين ثدييه، ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فرجع الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: وماذاك، قال الرجل الذي ذكرت آنفا أنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت: أنا لكم به، فخرجت في طلبه حتى جرح جرحا شديدا، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسول الله عند ذلك: "إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار" وفي بعض الروايات زيادة كما عند البخاري: "وإنما الأعمال بالخواتيم".

وهكذا وبالجزم نقول إنه لايمكن بأي حال أن يزعم أحد، أن فلانا أو علانا من أهل الجنة أو من أهل النار وهي قاعدة عظيمة وهي من أهم الركائز الفكرية والتصورية التي إذا أخذ بها المسلمون لنجت الأمة من الانزلاقات الفكرية، من تكفير أو تفسيق... وكذلك الأمر بالنسبة لأولئك الذين يقولون على الله مالايعلمون، ويؤولون النصوص ويدعون اجتهادا في غير محله، وكلا الفريقين مخطئ، إذ خلاصة الأمر أن على العالم والواعظ ومن نصب نفسه للدعوة إلى الله التبليغ والدعوة، والأمر لله من قبل ومن بعد، يدخل الجنة من يشاء ويعذب من يشاء، لاراد لحكمه وقضائه، وعلى المسلم كيف ما كان أن يعمل ويستقيم على العمل الصالح ويسأل ربه حسن الخاتمة، لأنني وبصراحة يحز في نفسي أن أرى كما يرى غيري رجالا من هذه الأمة ينزلقون ويسقطون في أمور هي من علامات سوء الخاتمة والعياذ بالله، ولذا وجب أن أذكر نفسي وأحبتي عبر صفحات هذه الجريدة الغراء إلى حسن وسوء الخاتمة، وتعمدت ذكر علامات حسن الخاتمة في الجزء الأول تبشيرا وتحفيزا، سائلا رب العزة أن يوفقنا والقراء وجميع المسلمين إلى مايرضي ربنا، وأن يرزقنا حسن الخاتمة...

3. من أسباب حسن الخاتمة

أ. تقوى الله: قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون)سورة آل عمران/الآية:102، فتقوى الله من أعظم أسباب حسن الخاتمة. والموت على الإسلام والتقوى هي أعلى درجات الإيمان، وقد وعد الله أهل الإيمان بالتثبيت في الحياة الدنيا وفي الأخرة، فقال تعالى: (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء)سورة إبراهيم/الآية:27، كما وعد الله أهل التقوى بالمخرج من كل ضيق، فقال :(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب)سورة الطلاق/الآية:2و3.

ولاشك أن العبد في حال السكرات في شدة، وقد وعد الله المتقين باليسر بعد الشدة، فقال: (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) سورة الطلاق/الآية:4.

ب. الاستقامة: قال تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولاتحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون) سورة فصلت/الآية30.

فأهل الاستقامة هم الذين تنزل عليهم ملائكة الله، عند الموت بالبشارة بالجنة، والنجاة من النار، إشارة على أنهم يوفقون للخاتمة الحسنة، التي تكون سببا في دخول الجنة، والنجاة من النار.

ت. الصدق: قال الله: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)سورة التوبة/الآية:119 فالصدق من أعظم أسباب حسن الخاتمة، عن شداد بن الهاد أن رجلا من الأعراب جاء إلى النبي. صلى الله عليه وسلم. فآمن به واتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي. صلى الله عليه وسلم. بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي صلى الله عليه وسلم سبيا فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ماقسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال: ماهذا، قالوا: قسم قسمه لك النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فجاء به إلى النبي. صلى الله عليه وسلم. فقال ماهذا، قال: (قسمته لك) قال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال: (إن تصدق الله يصدقك) فلبثوا قليلا ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي. صلى الله عليه وسلم. يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال النبي. صلى الله عليه وسلم .: (أهو هو) قالوا: نعم قال: (صدق الله فصدقه) ثم كفنه النبي. صلى الله عليه وسلم. في جبة النبي. صلى الله عليه وسلم. ثم قدمه فصلى عليه فكان فيما ظهر من صلاته: (اللهم هذا عبدك خرج مهاجرا في سبيلك فقتل شهيدا أنا شهيد على ذلك)رواه النسائي.

فالعبد إذا صدق في إيمانه، وفي أقواله، وأفعاله يوفق لحسن الخاتمة، وينال سعادة العاجلة، والأجلة.

ث. ذكر الموت، وزيارة القبور: وإنه لايداوم على ذلك إلا وجل موصول التفكير باليوم الآخر من كان ذلك حاله، رزقه الله حسن الأخرة، وإن الإنسان كلما غفل عن ذكر الموت وزيارة القبور، وجد نفسه قد أخلد إلى الدنيا وركن إليها، فتلتهمه الأيام والليالي ويدخل في دوامة الهموم والمشاكل الدنيوية حتى أنه يخشى عليه أن يقطع صلته بربه، حتى إذا جاءه ملك الموت فجأة، استيقظ وأفاق ولكن هيهات هيهات...

حديث المنابر

حقوق الأطفال داخل أسرهم على أوليائهم

■ إعداد الأستاذ عبد الله الطيبي كدير

■ الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمد الشكر والمدح بما يستحقه وماهو أهله ولانستوفي الأداء، الحمد لله حمد الثناء وبالغ الثناء ولاحق لأحد في مثل مايستحقه هو جل وعلا من ثناء، الحمد لله حمد تمجيد وتفويض واعتماد وخشوع وخضوع وعبادة لاتكون إلا لله جل وعلا ذي الأسماء الحسنى خير الأسماء، أشهد أنه الله لا إله إلا هو وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد منا لضعفنا وجهلنا وقصورنا وغرورنا الضلال، ومنه جل وعلا لقدرته وعظمته وعلمه وجوده وكرمه ورحمته نسأل كلما عمي علينا الاتجاه وأظلمت علينا السبل نسأل الاهتداء، فهو جل وعلا المنعم بكل أنواع النعماء والمتفضل بكل جلائل الأيادي والآلاء، إنه ربنا الرحمن الرحيم الخالق ابتداء، والمربي غذاء والغافر انتهاء، وهو صاحب أحسن الأسماء وله أعظم الأسماء به يجيب المضطر في اللأواء والبأساء والضراء إذا توجه إليه ضارعا مخلصا بالدعاء لصلاح الدين والدنيا والآخرة والأسرة والأبناء.. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خاتم الأنبياء، وسيد الأولياء، وإمام الصلحاء، وراند الشهداء، به أكمل الله لنا الملة السمحاء ويسر لنا الديانة الغراء وأتم علينا بذلك كله النعماء.. فبمحمد رسول الله أكرمنا الله فعرفنا الحقيقة البلجاء، وسرنا على المحجة البيضاء.. به عرفنا وعلمنا وأيقنا أن حياتنا ليست عبثا ولاهباء.. وأننا لانلد أبناءنا وأفلاذ أكبادنا لنرميهم في دنيا من العذاب والشقاء ونهايتها العدم والفناء.. وعلمنا هذا يدفعنا إلى حسن تربية هؤلاء الأبناء، وتربيتهم في أسر إسلامية توليهم أكبر الاعتناء، فلنا في ذلك عند الله أحسن الجزاء.وهذا رسول الله يبشر فيقول مخاطبا ضمير كل مسلم وقلب كل مؤمن وعقل كل متفكر: "دينار أنفقته في سبيل الله (أي في الجهاد وطاعة الله تعالى) ودينار أنفقته في رقبة (أي في تحرير نفس إنسانية وعتقها من العبودية والذل والرق)ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك (أي أفراد أسرتك) أعظمها أجرا الذي أنفقته علي أهلك"مسلم، إن رسول الله الصادق المصدوق يبشرك وهو لاينطق عن الهوى أيها المومن، يبشرك بأن الأجر العظيم والثواب الكريم من الله الرحمن الرحيم يحيط بك من كل أقطارك، وهو عاقبة كل حركة أو سكنة منك أيها المؤمن العامل.. ولكن الأجر والثواب درجات تتفاوت ليتنافس المؤمنون على الخير الذي فيه يتنافس المتنافسون من المؤمنين.. وماأعظم كل ماذكر رسول الله في هذا الحديث العظيم من داوعي الأجر الغامر العميم الواسع... ولكن أعظمها وأكرمها وأرفعها درجة عند رب العزة جل وعلا وعند رسوله ذي الخلق العظيم هو أجر المال الذي ينفق في بناء الأسرة ورعاية الأهل وتربيتهم والعناية بكل أمورهم جليلها ودقيقها صغيرها وكبيرها أمور دينهم ودنياهم.. فذاك الأجر العظيم وذلك الثواب الكريم.. يظهر فضله في نعيم الآخرة.. وتتجلى بركته في انسجام الأسرة والتحام أفرادها وتوادهم وتحابهم فيحيا كل أفرادها في ظل الحب والوئام ورضوان الله وتلك خلية المجتمع المسلم السعيد.. وتلك أولى دعائم أمة الإسلام العزيزة بعزة الإيمان الذي لايكون إلا لله ولرسوله وللمؤمنين فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وكل من اتبعه بإحسان إلى يوم الدين... وخير إحسان نتبعه فيه لنستحق أن نكون معه ومنه هو أن نكون الأسرة المسلمة السعيدة فهي الأساس فكيف يريد الإسلام أيها المؤمنون أن تكون الأسرة المسلمة المؤمنة السعيدة المتماسكة؟ هذا هو موضوع اليوم كمقدمة موجزة لمواضيع تتلوه مستقبلا إن شاء الله تعالى.

يقول الله تعالى في كتابه العزيز الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: "فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم" من هن هؤلاء اللواتي أمرنا بمباشرتهن بأن بناشرهن؟ إنهن زوجاتنا اللواتي أحلهن الله لنا وأحلنا لهن وجعل بيننا وبينهن مودة ورحمة وسكن وسكينة، وملكنا بضعهن بحق الله وشرعه وأفضينا إليهن وأفضين علينا بحق الله وشرعه، وأخذن منا وأخذنا منهن ميثاقا غليظا هو الزواج على سنة الله ورسوله للإحصان والإعفاف وغير ذلك مما هو أعظم وأجل وأكرم.. وما معنى هذه المباشرة التي خوطبنا بها بصيغة الأمر من الله العلي الكريم الجليل العظيم؟ إنها تلك العلاقة الجسدية الحميمة الصميمة التي تكون بين الزوج وزوجه حين يخلوان بينهما بدون أن يثلثهما شيطان.. ولاحياء في الدين هكذا تعلمنا من فقهائنا رضي الله عنهم وأرضاهم.. والله تعالى الرحمن الرحيم يعبر عن تلك العلاقة الجميلة بعبارة موحية ذات دلالة واضحة، وليس فيها مايجرح الأسماع المرهفة أو يخجل المشاعر الحميمة يعبر عنها بالمباشرة.. وهو تعبير لن يستطيع أحد أن يجد مثيلا له في قوة دلالته ونصاعته وبراءته وطهارته إلا في القرآن، ولاعجب في ذلك فالقرآن كلام الله ألقي على قلب رسول الله بوحي أمين... والله خلق الإنسان وعلمه البيان... ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح أهل البيان... وما الغاية من هذه المباشرة؟ يقول الله تعالى: "وابتغوا ماكتب الله لكم".. إن هذه العلاقة وهذه المباشرة ليست غاية في حد ذاتها حتى عند البهائم التي تمارسها ولاتعلم لها غاية.. إن الله جعلها وسيلة جميلة وقوية لغاية جليلة أجمل وأقوى وأشمل وأكمل.. وغاية هذه المباشرة ليست مجرد اللذة ولامحض الشهوة... إنه لقاء طاهر مأجور من الله... والأجر لايكون على مجرد لقاء مهما غلا فهو رخيص... وصدق أحدهم حين قال: لولا هو ان الشهوة على الله لما خصص عضوين من أعضاء النفايات... إنها ليست هينة، ولكنها تهون ويهون صاحبها لو جعلها غايته من حياته..وما هي إلا وسيلة لغاية أشرف وأكرم هي أن يطلب بهذه المباشرة الولد . وأقصد بالولد الذكر والأنثى . الولد الصالح الذي ينتج عن هذه المباشرة ويخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ليعبد الله لايشرك به شيئا ليحقق غاية الله من خلق الإنسان.. وليحقق أمل رسول الله فالله يقول: (وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ورسول الله يقول: "النكاح سنتي (الزواج) ومن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم" هذه العلاقة غايتها إذن أن يعبد الله . وهذه العلاقة غايتها أيضا إحياء سنة رسول الله وتحقيق مباهاته.. فما نصيب المؤمنين الملتزمين بها منها؟ استمعوا أيها المؤمنون إلى جواب الرسول صلى الله عليه وسلم يزفه إليكم في صيغة بشرى مضيئة متلألئة، قال صلى الله عليه وسلم: "إن العبد لترفع له الدرجة، فيقول: أي رب، أني لي هذا؟فيقول: باستغفار ولدك لك من بعدك" أرأيتم أيها المؤمنون؟ إنها علاقة زكية مباركة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء.. إنها حبل نوراني طاهر طرفه بيمين الله تعالى في علاه ولله المثل الأعلى ومتنه في طوله كله هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحقيق رغبته الكريمة في المباهاة بكثرة أمته التي هي خير أمة أخرجت للناس في أمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر وإيمانها بالله... والطرف الآخر من حبل النور هذا بيد كل عبد مؤمن أو أمة مؤمنة أقام هذه العلاقة بأمر الله وعلى سنة رسول الله وابتغاء ما كتب الله له فكان له منها ما أراد الله من ثمرتها، من بنين وبنات يستغفرون له من بعده ويدعون له فيرفع الله له الدرجات بعد أن انقطع عمله... ولم يبق له من هذا العمل الصالح إلا الولد الصالح...

أيها المؤمنون البررة... بقي لنا أن نتساءل الآن" أين تقام هذه العلاقة؟ وأين تكون هذه المباشرة؟ وكيف تقام؟ وكيف تكون؟ وماذا نسمي أطراف هذه العلاقة؟ ومن هما الشريكان في هذه المباشرة؟ وماذا عن ثمرة ذلك كله؟

الجواب عن ذلك كله يتلخص في جواب يتكون من كلمة صغيرة لفظا كبيرة معنى، ثقيلة وزنا، هي (الأسرة) والأسرة ضرورة حياة عند أغلب الحيوانات الراقية، وهي عند الإنسان أرقى مخلوقات الله على هذه الأرض أشد لزوما ووجوبا وضرورة من الماء والهواء والغذاء... ولابد أن نضيف إليها في هذا المقام وصفا واجبا هو (المسلمة) فالأسرة في عرف الإسلام هي الأسرة المسلمة... وبدون هذا الوصف لا يعترف الإسلام بوجودها.. رغم أن الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا... وفقه الأسرة المسلمة ضرورة لازمة لابد أن يعرف الحد الأدنى منه كل مسلم ليقيم حياته ودينه على أساس صحيح قويم سليم يرضي الله ورسوله.. وأكرر على كل مسلم مؤمن أن يعرفه ويلتزم به يعرفه في حدود ماينفعه في دينه ودنياه، ويلتزم به في حدود مايستطيع ويطيق.. وقد رفع الله عنه في جميع التكاليف الخطأ والنسيان وماستكره عليه... وأول ما عليه أن يعرف من فقه تكوين الأسرة المسلمة المؤمنة هو اختيار الشريك فيها..اختيار الزوجة بالنسبة للرجل واختيار الزوج بالنسبة للمرأة وشروط كل منهما التي حددها الإسلام وناسب بها الفطرة السوية والغريزة السليمة عند الرجل والمرأة لتتكون منها الأسرة المسلمة الحقيقية...

ونسأل الله تعالى العظيم الرحيم الكريم أن يجعلنا وإياكم من الذين سبقت لهم منه الحسنى في كل شيء على العموم وفي اختيار الزوجة الصالحة على الخصوص، وأن يجعلها لنا من خير متاع الدنيا.. وألا يجعلنا من الذين غلبت عليهم الشقاوة بالسقوط في هاوية زوجة سوء طالحة لاتسر منظرا ولاتحفظنا في شرف ولامال ولا ولد... اللهم لاتجعل زوجاتنا وأزواجنا نحن المسلمين المؤمنين ذكورا وإناثا أسبابا في خسراننا للدنيا والآخرة.. إنك سميع الدعاء وأنت حسبنا ونعم الوكيل... سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

علم التوقيت وآلة الربع المقنطر

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

■ إذا كان الأسطرلاب بأنواعه قد تبوأ مكان الصدارة من بين الآلات الفلكية الأخرى ، فإن الاهتمام به والاعتناء بتطويره والارتقاء في صناعته ظل حقبة من الزمان محل اهتمام الكثيرين من علماء الفلك ، حيث عملوا على ابتكار أشكال ونماذج منه مختلفة يبدو أبسطها بذي الذراعين اللتين تنفرجان عن بعضها بعضا مشكلتين زاوية تكبر أو تصغر ، بها كانوا يعرفون ارتفاع الكوكب عن الأفق مرورا بالأسطرلاب المسطح أي به الصفائح ، وله مؤشر يدور على محوره راسما عدة زوايا على دائرة، وهو يشبه عقرب الساعة.

والحقيقة أن الأسطرلاب عرف تهذيبا وتحسينا من فترة لأخرى عبر العصور، إلى أن ظهر اختراع آخر اختزل آلة الأسطرلاب وجعلها ربع دائرة ، يسمى هذا الربع بالربع المقنطر، وفي إطار سلسلة الحديث عن الآلات الميقاتية التراثية نتناول الآن الحديث عن الآلة السادسة ، التي هي الربع المقنطر.

فالربع المقنطر هو نصف صفيحة للأسطرلاب لعرض معين وكأنه صفيحة مطوية وبه العنكبوت مقسومة أرباعا، ثلاثة بروج طردا ، وهي الحمل والثور والجوزاء تساوي 90 درجة ، وثلاثة أرباع عكسا ، وهي السرطان والأسد والسنبلة هذا في البروج الشمالية ، أما الجنوبية ففيها كذلك ثلاثة بروج طردا، وهي الميزان والعقرب والقوس تساوي 90 درجة، وثلاثة بروج عكسا وهي الجدي والدلو والحوت، وكلها مخططة في وجه الربع ، في حين أن طوق الاسطرلاب الذي يساوي 360 درجة، قسم أرباعا 90 درجة طردا عكسا ، ويسمى قوسها بقوس الارتفاع، وسميت هذه الآلة بالربع المقنطرة من إطلاق اسم البعض على الكل..

والمقنطرات هي دوائر تساوي 90 درجة ، أولها دائرة الأفق وهي موازية لها وتتصاعد إلى أن تنتهي عند سمت الرأس، وتسمى مقنطرات الارتفاع ، وعكسها دوائر أخرى موازية للأفق أيضا، تحته إلى سمت القدم وتسمى دوائر الانحطاط.

فإذا خط الربع لمقنطرة مقنطرة إلى 90 مقنطرة يسمى بالربع الكامل.

وإذا خط لمقنطرة مقنطرتين يسمى ثنائي.

وإذا كان لثلاثة مقنطرات سمي ثلاثيا، وإذا كان لأربعة سمي رباعيا ، وإذا كان لخمسة سمي خماسيا.

ولاشك أن التام أقرب للدقة من الثنائي، والثنائي أقرب من الثلاثي وهكذا ، ولهذا يسمى الربع الذي يحوي جميع المقنطرات بالكامل ، ويسمى كذلك بالتام، وهذا الأمر يقال في صفائح الأسطرلاب.

والمقنطرات هي مخطوطة على وجه الربع وكذلك دوائر السموت، وقوس الظل المبسوط والمنكوس، وقوس العصر، وقوسا الشفق والفجر، والساعات الزمانية.

وهذه الآلة هي تعمل مثل الأسطرلاب تماما، إلا أن الاسطرلاب يقبل صفائح عديدة ويقبل كذلك الصفيحة الجامعة لتغيير العرض ، في حين أن آلة الربع المقنطر هي خاصة بعرض معين، وربما هذا هو الأمر الذي قلل من شأن هذه الآلة، لأنه يتعين عليك تخطيط كل ربع لكل عرض مما يتطلب مهارة في فن تخطيط الآلات الميقاتية ، وهو فن يحتاج إلى مقدمات وفنون أخرى في الرسم والهندسة ، الشيء الذي جعل الربع المجيب ينتشر أكثر من الربع المقنطر لعموم ذلك واقتصار هذا ، ولذا أحرز الربع المجيب على التأليف أكثر من غيره لأنه يصلح لجميع العروض.

ومع ذلك إذا كان لديك ربع مقنطر لعرض معين فيصبح من السهل عليك تدارك نتائج المطالب الفلكية جاهزة ومتيسرة وبسرعة فائقة وبأقل كلفة.

فهناك بهذه الآلة خيط بمركز الربع ، ومري ، فما أن تضع المري على درجة الشمس بدائرة البروج وتحريك الخيط حتى يقع المري على مثل الارتفاع من المقنطرات ، حتى تجد من معكوسات القوس فضل الدائرة وهو المدة الباقية للزوال إن قست قبله ، أو الماضي منه إن قست بعده، واقسم ذلك على 15 درجة تخرج الساعة العربية المزولية تزيد عليها الفرق بين الساعتين أو تنقصه تبعا للإشارة تقف على الساعة الإدارية تماما.

إذ قد لا يزيد التقريب عن الدقيقة الواحدة.

فعمل هذا الربع مختصر ومفيد جدا وسهل الاستعمال ، يعطي جميع المطالب بسرعة فائقة.

وقد ألف عليه كثير من علماء هذا الفن، ومن بينها (هدية السائل إلى الربع الكامل) ويعني به الربع المقنطرة التام، توجد نسخة منه بالخزانة الملكية مجموع رقم 1380 ، تأليف بدر محمد بن محمد بن أحمد سبط المارديني، الموقت بجامع الأزهر المتوفى عام 912 هـ / 1506م ، وله أيضا مؤلف آخر سماه (حاوي المختصرات في العمل بربع المقنطرات) توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية مجموع 6666.

أما هدية السائل ، فهو كتاب مؤلف من مقدمة و20بابا.

فالمقدمة بين فيها المؤلف رسوم هذه الآلة، وجاء في الأبواب مايلي:

. الباب1) في معرفة أخذ الارتفاع.

. الباب 2) في وضع الخيط على درجة الشمس.

. الباب 3) في معرفة الميل والغاية.

. الباب 4) في معرفة عرض البلد.

. الباب5) في معرفة الارتفاع الذي لاسمت له.

. الباب 6) في معرفة ارتفاع قطر المدار.

. الباب 7) في معرفة نصف قوس النهار ونصف الفضلة.

. الباب 8) في معرفة الدائر وفضله والسمت.

. الباب 9) في معرفة الارتفاع من فضل الدائر أو من السمت.

. الباب 10) في معرفة الظل من الارتفاع وعكسه.

. الباب 11) في معرفة العصر والدائر بينه وبين الزوال والدائر بين العصر والغروب.

. الباب 12) في معرفة حصتي الفجر والشفق.

. الباب13) في معرفة سمت القبلة.

. الباب 14) في معرفة استخراج الجهات والقبلة.

. الباب 15) في معرفة المطالع الفلكية.

. الباب16) في معرفة المطالع البلدية.

. الباب 17) في معرفة قطب فلك البروج وسط سماء الطالع وارتفاعه وسمتهما وتحويل المطالع البلدية إلى درجة السواء.

. الباب 18) في معرفة الماضي والباقي من توسط كوكب أو طلوعه أو غروبه.

. الباب 19) في معرفة حال الكوكب في وقت مفروض،انتهى.

ولدينا نسخة مخطوطة من هذا الكتاب رقناه على الآلة الكاتبة، وهناك كتاب آخر اسمه " الكوكب الأزهر في العمل على الربع المقنطر" لمؤلفه الشيخ خليل الحسيني المصري . طبع في القاهرة . وهو يشمل على مقدمة وعشرة أبواب ، عندي نسخة منه درسناه مع الطلبة بمسجد السنة بالرباط سنة 1998 ، حيث وفرنا لهم جهاز الربع المقنطر.

وقد ألف الشيخ سيدي محمد بن إبراهيم العلمي المتوفى سنة 1954م كتابا بين فيه كيفية تخطيط ووضع هندسة الربع المقنطر سماه" الميسر في تخطيط الربع المقنطر" مطبوع بالمطبعة الحجرية بفاس، وبهامشه المحرر على الربع المقنطر وهو كتاب في العمل بالربع المقنطر لسيدي عبد العزيز الوزكاني.

ولمحمد الرمشاني كتاب في تخطيط الربع المقنطر الشمالي سماه" عقد اللآلي في تخطيط الربع المقنطر الشمالي " مرقون يسر الله طبعه.

وقد عثرت على مخطوطة تسمى " رسالة في العمل بربع المقنطرات المقطوعة بمدار الحمل والميزان" لمؤلفها أحمد بن السراج، وهذه الرسالة قد اختصرت الربع المقنطر، حيث اكتفت بنصف المقنطرات، وهي عجيبة ولاندري من الذي ابتكرها.

نشأة التصوف الإسلامي وتطوره

■ إعداد الأستاذ: أحمد بلحاج

■ اجتازت الصوفية في الإسلام مراحل عدة عبر تاريخ التصوف هي مرحلة الزهد . مرحلة التصوف العملي، مرحلة التصوف الفلسفي، مرحلة التصوف الجمعي، وقد غذت هذه المراحل عوامل إسلامية، وأخرى غير إسلامية.

1. مرحلة الزهد:

يكاد يجمع الباحثون على أن التصوف نشأ عن الزهد الذي ظهر بين المسلمين في القرنين الأول والثاني للهجرة والذي كان للإسلام وللبيئة الإسلامية الفضل الأكبر في ظهوره وانتشاره.

فالإسلام مع دعوته إلى العمل والسعي وراء الدنيا وعدم تحريم طيبات ما أحل الله دعا كذلك إلى الإعراض عن هذه الحياة والإقبال على الحياة الأخرى ترغيبا وترهيبا قال تعالى : "يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولائك هم الخاسرون" سورة المنافقون/الآية:9.

وفي السنة جوانب كثيرة من أقوال النبي (ﷺ) وأفعاله تحث على الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة.

ومن المعلوم أن القرآن الكريم لم يصرح بالزهد كمذهب بل اعتبره سلوكا عمليا قائما على معاني التقوى والخوف من الله سبحانه والتوكل على الله والزهد من ذكر الله، كذلك لم تكن حياة النبي (ﷺ) الروحية حياة تصوف أو رهبانية بل كانت حياة زهد معتدل قائم على التخلق بأخلاق القرآن الكريم، بتزثير القرآن واقتداء بحياة النبي (ﷺ) الروحية ارادت طائفة من سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ألا تكون من القوم الخاسرين فكانت حياتها الروحية هي العكوف على العبادة والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها.

حينما انتشر الإسلام حصل العرب الفاتحون على مغانم كثيرة فظهرت طبقة اجتماعية كانت تمتلك المال والنفوذ والفراغ مما جعلها طبقة ماجنة، أثارت هذه المظاهر من الفساد الاجتماعي رد فعل عند فريق من المؤمنين الورعين فراح ينشد المثل العليا الإسلامية في الزهد.

ولكن الزهد إذا كان قد نشأ في صدر الإسلام وكانت بذور التصوف كامنة في تيار زهد الإسلام فإن التصوف يتجلى في تيارات فكرية وفلسفية قوتها عناصر عديدة من الإسلام ومن خارج الإسلام، وعملت على تطوير التصوف من خلال التطور التاريخي والفكري للمسلمين في القرنين الثالث والرابع للهجرة ومابعدهما.

2. مرحلة التصوف العملي

من بداية القرن الثالث الهجري أخذت العناصر الحضارية الدخيلة تتسرب إلى الإسلام وأخذ الزهد يتحول بسرعة إلى تصوف متشبع بتيارات عملية ونظرية واختصر المقبلون على العبادة باسم الصوفية، وصار للتصوف علما يميز به السالكون طريق الله من خواص المسلمين عن غيرهم من عامة المتدينين وعن غيرهم من المتكلمين والفقهاء.

قال أبو علي الروذباري: "الصوفي من لبس الصوف على الصفا وأطعم الهوى ذوق الجفا، وكانت الدنيا منه على القفا، وسلك منهاج المصطفى".

وبوجه عام فإن تصوف القرن الثالث الهجري كان في معظمة تصوفا سنيا يوصف بعلم القلوب الموصل إلى معرفة الله بلا واسطة كما يوصف بعلم الباطن الذي يشتمل على الأحوال النفسية وعلى المقامات المكتسبة وعلى الأذواق القلبية لمعرفة الله.

3 مرحلة التصوف الفلسفي

في مطلع القرن الرابع الهجري ومايليه صار التصوف فلسفة وتأملا قائمين على المحبة والمعرفة أكثر منه زهدا أو عبادة بدنية وغلب على مقاصد التصوف الاتجاه إلى الله والفناء فيه ومحو وجود الانسان ووجود العالم المحدودين المجازين في وجود الله المطلق الحقيقي، فنشأت بذلك أفكار فلسفية غريبة من عقيدة التوحيد الإسلامية: الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود... بعض هذه الأفكار آت من مذهب ديني متأثر بالفلسفات اليونانية، يحتقر الجسد ويعتقد بأن المعرفة الكاملة هي التي تتأتى عن الفناء في الله، لاتلك المعرفة التي تتأتى عن طريق العقل. وبعض هذه الأفكار وافد من الأفلاطونية الحديثة المنسوبة إلى أفلوطين الاسكندري، وقوام فلسفة أفلوطين: كل الموجودات صدرت عن الواحد الله الذي هو مبدأ الخير المطلق والجمال المطلق، وقد تم صدورها وهي في شوق دائم إلى الواحد، وإذا أرادت النفس أن تتأمله، فينبغي ألا تبحث عنه في الخارج وإنما في داخلها بعدان تتجرد من كل صورة ومن كل فكرة وتتوجه بكليتها نحو مركزها وتنسى كل شيء، وتنكر حتى أنها تتأمل عندئذ ستجد نفسها متحدة بالواحد الذي يشرق فيها إشراقا، وتغدو هي والواحد وحدة.

دخلت هذه الأفكار الفلسفية الغريبة عن الإسلام التصوف فطبعته بطابع فلسفي وقد تجلى التصوف الفلسفي بصورة أولية لدى الحسين بن منصور الدلاج الذي قال بالحلول: حلول اللاهوت في الناسوت أي حلول الذات الإلاهية في الذات البشرية وامتزاج روح الله بروح الإنسان المتصوف، ولكن بعد القرن 5هـ بلغ التصوف الفلسفي ذروته، لدى كل من : (شهاب الدين السهر وردي) ومحيي الدين بن عوجي، وعمر بن الفارض، وعبد الحق بن سبعين وجلال الدين الرومي...

نجد لدى السهر وردي فكرة الإشراق التي تجعل الله نورا فياضا بالأنوار القاهرة وهي النفوس والعقول وبالجواهر الناشئة عن الأنوار، وهي الأجسام، وكل ما هو موجود من ذوات وموضوعات ووحدة وكثرة وعلل ومعلولات يفيض عن الله، والنفس تعرف الله بالكشف لا بالعقل فتشرف عليها الأنوار الإلاهية وتصير مع الله في وحدة تامة.

ونجد لدى ابن عربي فكرة وحدة الوجود، وفكرة وحدة الأديان فالفكرة الأولى تقوم على: أن الله خلق الأشياء وهو عينها" بمعنى أن وجود الله ووجود العالم والمخلوقات في وحدة تامة، فوجود الله هو الوجود الحقيقي أما وجود العالم فهو وجود وهمي.

وترجع الكثرة والتفرقة الموجودتان في العالم إلى أن العقل والحس لايستطيعان إدراك وحدة الوجود، أما الفكرة الثانية فتقوم على أن الحقيقة المحمدية أول ما صدر عن الذات الإلهية، ففاضت بالكمالات العلمية والعملية وتحققت في الأنبياء من آدم إلى محمد (ﷺ) وتجلت بعد ذلك في أفراد الإنسان الكامل من أولياء الله الصالحين، وإذا كانت الحقيقة المحمدية على هذا النحو فإن الأديان واحدة، والدين كله لله الواحد الأحد.

وقد توسعت فلسفة ابن عربي لدى جلال الدين الرومي الذي عبر عن وحدة الوجود ووحدة الأديان في شعره الرمزي ولدى ابن سبعين القائل بوحدة مطلقة لكائن واحد حقيقي كلي الوجود.

ونجد لدى ابن الفارض فكرة وحدة الشهود وقوامها:

الشعور بفناء المحب عن ذاته واتحاده بذات الله، وبهذا الشعور ينظر الصوفي إلى الموجودات بعين الوحدة .

4. التصوف الجماعي:

في بداية القرن 3 الهجري أخذت العاطفة الصوفية التي ربطت قلوب المتصوفة تجعل منهم جماعات بعد أن كانوا أفرادا متفرقين مستقلين جماعات مختلفة لها طرقها الخاصة وشيوخها وسالكوها الذين يمارسون رياضاتهم الروحية في زوايا وأماكن بعيدة، وبذلك غدا التصوف نظاما تعليميا وإداريا عين له أهله شروط القبول، ورتبوا فيه الشعائر والرياضات.

وللمتصوفة مراتب:

. المريد المبتدئ: الذي يرغب في الانضمام إلى إحدى الفرق المنظمة.

. والسالك المجرد: وهو لايؤهل للمشيخة ولايبلغها لبقاء صفات نفسه عليه.

. والمجذوب المجرد: قريب من الله ولكنه غير مؤهل للمشيخة.

. والسالك المتدارك بالجدبة: وهو الذي توصل إلى الحق ورفعت عن قلبه الحجب وأصبح مؤهلا للمشيخة.

. الشيخ: وهو من صفا قلبه لتقبل الأنوار الإلهية، وهو العارف بالله والمقرب إليه والقطب وأعاظم متصوفي عصره والوحيد الذي انتقل إليه العلم الإلهي حتى قدسه بعضهم تقديسا يكاد يصل إلى مرتبة الأنبياء.

ولابد للذي أحبت نفسه التصوف من اختيار شيخ يصل به إلى طريق الحق الوعرة للسالك، وعلى المريد أن يتحلى أولا بالرياضة الصوفية:

. خدمة القوم، والثانية خدمة الله، ثم يقضي ثلاث سنوات في الخدمة، والثالثة في مراقبة نفسه،فإذا أكمل الثلاث سنوات ووفق فيها ألبسه شيخه الخرقة وهي علامة على أنه بدأ في سلوك الطريق الصوفي (طريق الحق) وهذا الطريق يتألف من عدد من المقامات عدها أخو نصر الطوسي سبعة: . التوبة . الزهد . الفقر . الورع . الصبر . التوكل . الرضا.

وهي المراحل الإعدادية التي يكتسبها السالك بالفناء إذ تتم بالذكر والصوم الكثير والصلاة، واذا مر بهذه المقامات بإتقان وحصل على الأحوال، أصبح أهلا لأن يعد في صفوف المتصوفة.

إن الطريقة التي بدأت في آخر القرن 3 الهجري أسلوبا سلوكيا يلجأ إليه الشيخ في تدريب مريديه على طريق المقامات والأحوال بمقتضى العقيدة والشريعة، قد تطورت إلى نظام جمعي على نحو أوسع، فمنذ القرن السادس الهجري انتشرت الزوايا في العالم الإسلامي وأصبح للصوفية طرق عديدة تختلف في الشعائر والرياضات العملية.

ولكل من هذه الطرق شيخ هو رئيسها الذي يعتقد أن له صلات روحية مع الله، وأن الله قد من عليه بالكرامات وهناك اتباع يعتقدون أن شيخهم الولي تبقى بركاته وكرامته قائمة حتى بعد موته.

وهذه الطرق الصوفية منها الذي ظلت متقيدة بالعقيدة والشريعة، ومنها التي خالفت الكتاب والسنة وصرحت بتعاليم لايقرها الإسلام كإسقاط التكاليف الشرعية عن التصوف أو تأليه القطب والاعتماد بعصمته وشفاعته، ومنها القائمة على الغش والشعوذة وتعذيب الجسد بشتى الوسائل.

ومنها أخيرا من أصبح لديها التصوف مهنة واكتسابا واشتهارا...

من فقه الإمام

■ إعداد الأستاذ: أحمد تشيكرت

■ يقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ، فالتفقه في الدين أمر مطلوب من كل مسلم، لأنه سبب لنيل السعادة الكاملة في الدنيا والآخرة. ومن لم يكن كذلك فهو من المحرومين، الذين ذكروا بآيات الله فأعرضوا عنها ، وضلو سواء السبيل . وإذا كان هذا هو المطلوب من كل فرد من آفراد المجتمع. فإن التفقه في الدين في حق من يتولى الإمامة بالناس ، هو واجب في حقه ، تبعا للقاعدة الأصولية ، مالايتم الواجب إلا به فهو واجب ، وفيما يلي نفصل القول في الإمامة. وما يتعلق بها من الاحكام.

الأصل في الإمامة:

الأصل في الإمامة إنها نيابة عن الإمام الأعظم، أي أمير المؤمنين ، وسند هذا الأصل آن الرسول ، صلى الله عليه وسلم استخلف أبا بكر الصديق في الصلاة بالمسلمين حين عجز عن ذلك بسبب مرضه.

قال القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب الأحكام. «ولاية الصلاة أصل في نفسها ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا بعث أميرا جعل الصلاة إليه، ولكن لما فسدت الولاة، ولم يكن فيهم من ترضى حالته للإمامة بقيت الولاية في يده بحكم الغلبة وقدم للصلاة من ترضى حالته»

وهكذا يكون خطباء الجمعة وائمة المساجد نوابا عن الإمام في إمامتهم وخطبهم فمنه يستمدون مشروعيتهم.

تعريف الإمامة:

كل من يقتدى به ويتبع في خير أو شر فهو إمام، قال الله تعالى: «وجعلنا منهم أئمة يدعون بأمرنا» هذا في الخير وفي الشر «وجعلنا منهم أئمة يدعون إلى النار.

والإمامة نوعان:

إمامة كبرى: وهي رياسة في الدين والدنيا.

وإمامة صغرى : وهي المقصودة هنا ، ونعني بها إمامة الصلاة وهي ارتباط صلاة المؤتم بالإمام.

شروط صحة الإمامة:

لايصلح كل شخص آن يكون إماما . لأن وظيفة الإمامة لها أهمية كبيرة في الإسلام ، تتطلب صفات معينة وشروطا لابد أن تتوفر في من يقوم بها ، وهذه الشروط هي الآتية:

1 . الإسلام: فلا تصح إمامة الكافر.

2 . البلوغ: فلا تصح إمامة الصغير والمجنون والمعتوه لقوله (ﷺ)» رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يحتلم، وعن النائم حتى يصحو وعن المجنون حتى يفيق».

3 . الذكورة: فلا تصح إمامة المرأة.

4 . الطهارة من الحدث : فلا تصح إمامة المحدث، أو من علية نجاسة لبطلان صلاته.

5 . أن يكون قادرا على أداء الصلاة والإتيان بأركانها: من القيام والركوع والسجود لقوله صلى الله عليه وسلم: (لايؤمن آحد بعدي جالسا) أخرجه الدارقطني فلا يصح إتمام القادر على ذلك بالعاجز عنه. وان حدث للإمام ما يمنعه من القيام استخلف ورجع إلى الصف مأموما.

6 . أن يكون عارفا بحكم الصلاة ، أي عالما بما لا تصح الصلاة إلا به من القراءة والفقه . لقوله (ﷺ)» يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله . فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة».

7 . أن يكون غير فاسق والفسق ثلاثة أنواع:

أ . فسق : يكفر به صاحبه كالاستهانة بالمصحف والدين واستحلال ما حرم الله أو تحريم ما أحله الله أو تكذيب القرآن فالصلاة خلف المتصف بهذا النوع باطلة ، لأنها صلاة خلف كافر.

ب . فسق لايكفر به ولا يتعلق بالصلاة كالزنا وشرب الخمر والغيبة فالصلاة خلف المتصف بهذا النوع لا يجوز ابتداء لحديث جلبر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، على منبره يقول: لايؤمن امرأة رجلا ولافاجر مؤمنا إلا آن يقهر آو يخاف سطوته أو سيفه» رواه ابن ماجة.

ج . فسق لايكفر به لكنه يتعلق بالصلاة كالإخلال بشروطها أو فروضها أو التكبر بالإمامة فتبطل الصلاة خلف المتصف بذلك أيضا.

8 . أن يكون الإمام صحيح اللسان بحيث ينطق بالحروف على وجهها الصحيح ، فلاتصح الصلاة خلف من يتعمد اللحن في القرآن مطلقا سواء في ذلك الفاتحة أو غيرها ، وهكذا لا تصح إمامة الألتغ وهو من يبدل الراء غينا والسين تاء أو الذال زايا ، وكذلك التمتام . والفأفاء وماأشبه ذلك.

9 . أن يكون مقيما: فلا تصح الجمعة خلف مسافر ، إلا أن ينوي إقامة أربعة أيام فأكثر لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال ليس على المسافر جمعة ، رواه الدارقطني وإلى شروط الإمام أشار ابن عاشر بقوله:

شرط الإمام ذكر مكلف
وغير ذي فسق ولحن واقتدا
آت بالأركان وحكما يعرف
في جمعة حر مقيم عددا

الأحق بالإمامة:

الأحق بالإمامة هو الأفقه الأعلم بأحكام الصلاة ثم الأحسن تلاوة وتجويدا للقراءة لقوله (ﷺ) » يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ثم المتقي للمحرمات ، ثم الأسن ثم الأحسن خلقا.

من تكره إمامته:

تكره إمامة بعض الأشخاص وهم:

1 . الفاسق : لعدم اهتمامه بالدين.

2 . المبتدع: الذي لا يكفر ببدعته

3 . إمامة صاحب السلس أو من به قروح للسالم من ذلك ، لأن الرخصة لا تتعدى محلها ، فإن أم مثله فلا كراهة.

4 . إمامة الرجل من أهل البادية لغيره من أهل الحضر

5 . إمامة من تكره الجماعة من ذوي الفضل إمامته ، إذا كان سبب ذلك أمرا دينيا لا دنيويا، فمن علم أن جماعة من ذوي الفضل كارهون لإمامته وجب عليه أن يتأخر عن الإمامة بهم لقوله(ﷺ)» من أم قوما وهم له كارهون فإن صلاته لا تجاوز ترقوته» اخرجه الطبراني في الكبير عن جنادة ، كما في الجامع الصغير.

6 . إمامة الأشل : وهو يابس اليد لحرج أو غيره. وهذا إذ كان لا يضع يده على الأرض ، لأنه يخل بالسجود على بعض أعضاء السجود ، وكذلك أقطع اليد وما أشبهه، أما الأعرج فتجوز إمامته ، إذ كان عرجه خفيفا.

7 . اتخاذ من جهل حاله في العدالة أو الفسق وكذا مجهول النسب إماما راتبا ، أما مطلق إمامته من غير أن يكون راتبا فلا كراهة.

8 . يكره تطويل الصلاة على القوم تطويلا زائدا على السنة ، ودليل الكراهة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي (ﷺ) قال: إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والسقيم والكبير فإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء وعن أبي مسعود الأنصاري وعقبة بن عامر قالا جاء رجل إلى النبي (ﷺ) فقال: إني لأتأخر عن الصلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا قال فما رايت النبي (ﷺ) غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال يأيها الناس إن منكم منفرين. فأيكم أم بالناس فليوجز ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة.

وقد أشار الإمام ابن عاشر رحمه الله إلى من تكره إمامته بقوله:

ويكره السلس والقروح مع
باد لغيرهم ومن يكره دع
وكالأشل وإمامة بلا
ردا بمسجد صلاة تجتلى
بين الأساطين وقدام الإمام
جماعة بعد صلاة ذي التزام
وراتب مجهول أو من أبنا
وأغلف عبد خصي ابن زنا

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

علماء شباب مسلمون في خدمة الإنسانية

■ خبر علمي سار أذاعته مختلف وكالات الأنباء العالمية جعلني أتفاءل بمستقبل عبقرية علمائنا الشباب وفيما كنت أتصفح أعدادا من الصحف الجديدة طالعني الخبر تحت عنوان " عالم مغربي في عملية انزال الرجلين الآليين على سطح المريخ " وبالأمس القريب حصل عالم من مصر على جائزة نوبل نتيجة بحثه في علوم المستقبل على مستوى نواة الذرة ونواة الخلية والتكنولوجيا في تطويرها وهي تتجه نحو الصغر، ولأنه يتعامل مع متناهيات الصغر فقد تمكن من تطوير تفاعل وردود أفعال تفاعل الذرات مع بعضها ، واخترع أسلوبا لتصوير حركة الجزيئات السريعة باستخدام ومضات الليزر بسرعة فائقة حيث تصل الفترة الزمنية لكل ومضة إلى أعلى جزء من الألف مليون في الثانية، ذلك هو الدكتور احمد زويل.

واليوم يطالعنا عالم من المغرب وقد انغمر في أبحاثه حول علوم الفضاء إنه العالم المغربي كمال الودغيري عضو فريق علماء وكالة " ناسا" الذي ساهم في عملية انزال المسبارين " سبيريت" و"أوبورتيونيتي" على سطح المريخ ، يقول : إن استكشاف الفضاء ينسجم تماما مع نظرة الاسلام إلى العلم، وإن هذه القناعة هي التي تحفزه في ما يقوم به من عمل مشددا على الأهمية التي يوليها الدين الإسلامي من جهة لتحصيل المعرفة والبحث العلمي ، والانفتاح أيضا على الثقافات والحضارات الأخرى من جهة ثانية ، وحول المهمة الفضائية التي شارك فيها العالم المغربي كمال الودغيري أن هدفها الرئيسي يتمثل في استكشاف إمكانية وجود مياه ، وبالتالي وجود شكل أو أشكال من الحياة على المريخ موضحا أن مهمة المسبارين كانت ناجحة بشكل فاق كل توقعات العلماء بمختلف تخصصاتهم ليس فقط لأن المسبارين نزلا في المكان المحدد لهما مسبقا بل أيضا لكونهما حطا فوق منطقة صخرية تشكل أهمية كبيرة في تحليل سطح هذا الكوكب ، وفي رده على السؤال حول المدة التي تستغرقها المهمة أشار الودغيري إلى أنه تم تحديد 90 يوما لإنجاز هذه العملية اعتبارا للصعوبات التي يتوقعها علماء" ناسا" بسبب العواصف الرملية التي تهب عادة على سطح المريخ وتراكم الغبار فوق الألواح الشمسية مما يهدد تقليص فعاليات الباطريات التي تغذي مختلف الآلات بالطاقة الشمسية.

هذا ويشغل العالم المغربي كمال الودغيري الذي استقر بالولايات المتحدة في نهاية الثمانينات لمواصلة دراسته العليا في قطاع الاتصالات بجامعة كاليفورنيا الجنوبية منصب مدير مشروع في إطار برنامج استكشاف كوكب المريخ الذي تقوم به" ناسا"

أما بالنسبة للعالم المصري الدكتور أحمد زويل فهو أستاذ في أعظم الجامعات الأمريكية رغم صغر سنه ، له مؤلفات في الكيمياء والليزر وأشعة الطيف، وله 280 بحث علمي في مجال الليزر ، جاء اسمه في قائمة الشرف بالولايات المتحدة رقم"18" من بين "29" شخصية علمية بارزة ، حاصل على 200 جائزة علمية في أمريكا وأوروبا عن أبحاثه في أشعة الليزر واستخداماتها الحديثة.

وهكذا يضاف العالمان المسلمان كمال الودغيري وأحمد زويل ومعهما فاروق الباز المتخصص الباحث في جغرافية القمر إلى أسماء علماء العالم الذين قدموا للإنسانية أجل الخدمات في مجال التكنولوجيا والاكتشافات الحديثة التي تخدم الإنسان.

هذا التوجه إلى البحث العلمي يتفق مع البيان الختامي العاشر لمؤتمر القمة الإسلامي العاشر المنعقد في ماليزيا عندما أكد عن الحاجة إلى تقاسم الخبرات في ميدان العلوم والتكنولوجيا فيما بين الدول الأعضاء بغية تسخيرها للأغراض السلمية لما فيه خير البشرية ، ولتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول الأعضاء.

كتاب السير الكبير

للإمام محمد بن الحسن الشيباني

- الحلقة الأولى -

■ إعداد الدكتورة بشرى

محمد بن الحسن الشيباني

لقد كان للإمام " محمد " مكانة خاصة في الفقه الحنفي لأنه استطاع أن يجمع في منهجه الاجتهادي بين منهج الرأي الذي أخذه عن شيخه أبي حنيفة وأبي يوسف، ومنهج الحديث الذي أخذه عن شيخ الحديث الإمام مالك . وكان لهذا التزاوج بين الاتجاهين الفقهيين أثر واضح في شخصية الإمام محمد العلمية تلك الشخصية التي استطاعت أن تنال إعجاب العلماء في عصره.

كتاب السير الكبير:

هذا الكتاب يعد ثروة نفيسة في بابه ، وقليل من الباحثين من اهتم بهذا المصنف ، وأولاه حقه من الدراسة والبحث ، بالرغم من غناه من جوانب عدة ، خصوصا وأنه يعبر عن مرحلة تاريخية وحضارية مهمة في تاريخنا الإسلامي..

وفي هذا الكتاب بيان أحكام الجهاد، وما فيه مالا يجوز، وأحكام الموادعة، ومتى يصح نقضها، وأحكام الأمان وممن يجوز ، ثم أحكام الغنائم ، والفدية ، والاسترقاق، وغير ذلك مما يكون في الحروب ، ويكون من مخلفاتها.

ويذكر ابن عابدين والسرخسي أن آخر الكتب التي ألفها الشيباني كتاب " السير الكبير، وسبب تأليف " السير الكبير" كما يذكر " السرخسي " كان ضربا من المنافسة بين علماء العراق وعلماء الشام. حيث يذكر إن صح ما ذكره أن كتاب السير الصغير وقع في يد الأوزاعي فقيه أهل الشام وعالمهم ، فسأل عن مؤلفه فقيل : هو لمحمد العراقي ، فقال الأوزاعي : ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب فإنه لا علم لهم بالسير."

ويوضح " السرخسي " قول الأوزاعي بأن مغازي الرسول كانت من جانب الحجاز والشام دون العراق. فأهل الحجاز والشام أعلم بهذه المغازي وألصق بها ، فبلغ:" محمد بن الحسن" قول الأوزاعي ، فانصرف إلى تأليف السير الكبير وجعله في ستين دفترا وأرسله إلى الرشيد.

ويدور موضوع الكتاب حول جميع الأصول المتعلقة بالحرب وعلاقتها بالمشركين وأحكامها ، فهو في الحقيقة القانون الدولي للمسلمين في أمور الحرب.

وقد اعتمد الشيباني في ذلك كله على القرآن والأحاديث التي قيلت في مغازي الرسول على إثر حوادث معينة وقعت وعلى الأحكام التي وقعت أثناء حروب المسلمين وفتوحهم ، كما أعمل القياس في أحايين كثيرة، وجعل لذلك كله أحكاما جيدة.

ومن أهم المسائل الأصولية التي تستوقفنا عند دراستنا لهذا الكتاب ما يلي:

أولا : فهم الآية أو الحديث في ضوء علم النسخ والمنسوخ

كان الإمام على إدراك كبير لضرورة الناسخ والمنسوخ وأهميته القصوى في حل التعارض بين الآيات والأحاديث ، فشغل بذلك حل التعارض اعتمادا على الناسخ و المنسوخ مساحة شاسعة من كتابه هذا، واقتصر هنا على بعض الأمثلة التي توضح كيفية تناوله لهذا المسلك في حل التعارض.

باب القتال في الأشهر الحرم:

قال محمد : ذكر عن سليمان بن يسار أنه سئل : هل يصلح للمسلم أن يقاتل الكفار في الأشهر الحرم؟ قال نعم ، وبه نأخذ.

وعن عطاء يقول : لا يحل القتال في الأشهر الحرم لقوله تعالى :(فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين) سورة التوبة/ الآية5.

ولكنا نقول: هذا منسوخ ناسخه قول الله تعالى ،فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، سورة التوبة/ الآية:5 يفيد إباحة قتلهم في كل وقت ومكان.

قال السرخسي والمراد بقوله تعالى، فإذا انسلخ الأشهر الحرم ، مضى مدة العهد الذي كان لبعضهم ، لا يبان حرمة القتال في الأشهر الحرم، ثم صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا الطائف لست مضين من المحرم، ونصب المنجنيق عليها، وافتتحها في صفر ، ونسخ الكتاب بالسنة المشهورة التي تلقاها العلماء بالقبول جائز.

باب قتل الأسارى والمن عليهم:

قال محمد : وقد بينا أن حكم المن الثابت بقوله :(فإما منا بعد وإما فداء) سورة محمد /الآية 4. قد انتسخ بقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) سورة التوبة/ الآية:5

والذي روي أن النبي صلى الله عليه وسلم من على أبي عزة الجمحي يوم بدر ، فقد كان ذلك قبل انتساخ حكم المن.

وذكر محمد رحمه الله للحديث تأويلا آخر وهو: ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقاتل عدة الأوثان من العرب، وأولئك ما كان يجري عليهم حكم السبي، وإنما من على بعض الأسراء لأنه ليس فيه إبطال حق ثابت للمسلمين في رقابهم ، ونحن نقول به في مثلهم من المرتدين وعبدة الأوثان من العرب ، الذين لا يقبل منهم إلا السيف أو الإسلام ، فإنهم إن أسلموا كانوا أحرارا وإن أبوا قتلوا "

لقد كان علم الناسخ والمنسوخ من الأدوات الأساسية التي استعان بها الإمام محمد في فهم الآيات والأحاديث متتبعا في ذلك منهاجا دقيقا ساعده أكثر على كشف وجوهها والإحاطة بمراد الآية أو الحديث.

ثانيا : رده الحديث المخالف للأصول:

وذكر عن " الشعبي" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(من ترك دابة بمهلكة فهي لمن أحياها) . قال محمد :" ولسنا نأخذ به ، فإن هذا تسييب أهل الجاهلية ، وقد نفاه الشرع قال الله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة) سورة المائدة/ الآية 105.

قال محمد : وذكر عن الشعبي " أنه قال: يأخذها صاحبها ولا نفقة له على الذي أحياها إن كان أنفق من ماله ، وبهذا تبين أن الحديث الأول وهم ، فالشعبي هو الذي رواه ، وماكان يفتي بخلاف ما يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم مثل هذا الحديث الشاذ لا يكون معمولا به .

قال السرخسي :" إذا كان مخالفا للأصول ، فكان الرجوع إلى المقام المتفق على قبوله وهو قوله صلى الله عليه وسلم :لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيبة نفس منه " أولا"

ثالثا : منهج الإمام محمد في الترجيح:

إن الناظر في كتاب " السير الكبير" خاصة ، يجد أن شخصية الإمام المجتهد بارزة فيه بشكل واضح، ويزداد ذلك تأكدا بالوقوف على طريقته في الترجيح واختيار الروايات والآراء والأقوال التي يعضدها الدليل عنده وتقويها الحجة ، دون عصبية أو اتباع هوى مع استخدامه لطرق متنوعة في منهجه في الترجيح . مثال على ذلك:

الترجيح بالكثرة:

الترجيح بكثرة الرواة من المرجحات المختلف فيها بين العلماء، ولقد ذهب إلى جواز الترجيح بالكثرة الإمام محمد بن الحسن من الأحناف وأبو الحسن الكرخي في رواية عنه وأبو عبد الله الجرجاني ، وجمهور العلماء من الشافعية والمالكية والحنابلة والمعتزلة وبعض الأحناف المتأخرين ، وذهب أبو حنيفة وأبو يوسف ، وأبو الحسن الكرخي وجمهور الأحناف وبعض المالكية ذهب هؤلاء إلى منع الترجيح بالكثرة ما لم يبلغ حد الشهرة أو التواتر . ومن أمثلة الترجيح بالكثرة عند الإمام محمد:

باب الشهيد وما يصنع به:

قال محمد رحمه الله : الشهيد إذا قتل في المعركة لم يغسل ، ويصلى عليه في قول أهل العراق وأهل الشام وبه نأخذ. وفي قول أهل المدينة لا يصلى عليه ، وممن قال ذلك مالك بن أنس.

قال السرخسي :« واعلم أن محمدا سلك للترجيح طريقا سوى ما ذكره في سائر الكتب، وهو أنه نظر فيما اختلف فيه أهل العراق وأهل الشام وأهل الحجاز ، فرجح ما اتفق عليه فريقان وأخذ به دون ما تفرد به فريق واحد، وهذا خلاف ما هو المذهب الظاهر لأصحابنا في الترجيح أنه لا يكون بكثرة العدد ، وعليه دل ظاهر قوله تعالى » إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم « سورة ص / الآية 123، وقال تعالى »ولكن أكثر الناس لا يعلمون« سورة الأعراف / الآية 187.

وقال تعالى » وما أكثر الناس ولو حرصت بمومنين « سورة يوسف/ الآية 103. ووجه ما اعتبره هاهنا أن مثل هذا الاختلاف إنما يترتب على اشتباه في الأثر فيما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في المغازي، وكان ذلك أمرا ظاهرا ، فتهمة الغلط فيما تفرد به فريق واحد يكون أظهر من تهمة الغلط فيما اجتمع عليه فريقان كما في هذه المسألة. ومثاله أيضا في:

أبواب سهمان الخيل والرجالة:

قال محمد » وإذا أصاب المسلمون الغنائم فأحرزوها وأرادوا قسمتها فعلى قول أبي حنيفة (رحمه الله) : يعطى الفارس سهمين ، سهما له وسهم لفرسه، والرجل سهما ، وقال : لا أجعل سهم الفرس أفضل من سهم الرجل المسلم، وهو قول أهل العراق من أهل الكوفة والبصرة.

وعلى قول أبي يوسف ومحمد رحمهما الله: للفارس ثلاثة أسهم : سهم له وسهمان لفرسه وهو قول أهل الحجاز وأهل الشام ،. قال : وليس في هذا تفضيل البهيمة على الآدمي، فإن السهمين لا يعطيان للفرس ، وإنما يعطيان للفارس ، فيكون في هذا تفضيل الفارس على الراجل ، وذلك ثابت بالإجماع ، ثم هو يستحق أحد السهمين بالتزام مؤنة فرسه والقيام بتعاهده، والسهم الآخر لقتاله على فرسه، وقال : أرجح هذا القول لأنه أقوى مما تفرد به فريق واحد.

وهو نظير ما قال في الاستحقاق :" إذا أخبر مخبر بنجاسة الماء وأخبر اثنان بطهارته فإنه يؤخذ بقول الاثنين ، لأن الطمأنينة القلب في خبر الاثنين أظهر.

عن الدين والحداثة

■ إعداد دكتور محمد عزيز الوكيلي

■ الذين يحلو لهم الافتخار بما ليس لهم ، أي بما بلغ إليه الأغيار من التقدم العلمي والتكنولوجي ، ومن امتلاك ناصية المادة والذهاب بعيدا في طريق امتلاك معارف ومدارك واسعة عن الطاقة والقوة واللامادة (أو الهباء)، الذين يحلو لهم ذلك من أبنائنا (العرب المسلمون) يحسن بهم أن يقفوا قليلا بإزاء ذواتهم وبإزاء ذاك الفتح الذي يجعلونه محط اعتزازهم وافتخارهم بوصفه فتحا « إنسانيا» ،كونيا» يخصهم كما يخص صناعة «الفاتحين» فيطرحوا على أنفسهم الأسئلة البسيطة اليسيرة التالية وما شابهها:

« كيف بلغ الأغيار المذكورون إلى ذلك النصر العلمي التكنولوجي الحداثي ، كيف أمكنهم أن يرسموا في أفقه سبلا تتعدد وتتنوع لانتصارات أخرى آتية لا محالة؟».

«كيف أمكن لأولئك الأغيار أن يجعلوا من فتوحاتهم تلك عنوانا للحداثة، ولوسائلهم وأدواتهم وأساليب عملهم وأنماط علاقاتهم شعارا ورمزا للتحديث وجواز مرور لفضاء العصر الحديث ، دون أن يسألوا أحدا غيرهم رأيه أو يلقون بالا لوجهة نظره حول الأمر ذاته، ودون أن يكلفوا أنفسهم عناء السؤال عن مدى صحة وسلامة وصواب ما هم عليه من الفكر والاعتقاد والعمل؟».

« ثم ماهي هذه " الحداثة" أساسا، وفي تصور صانعي أسبابها المذكورة على الخصوص ، لأنهم أصحاب الشأن الأول والأخير كما يعتقد أبناؤنا المنبهرون المخلوبة ألبابهم بما ذكرناه؟».

إن علينا، قبل أن نسيح كما تفعل الغازات والسوائل واللدائن اللزجة في عوالم الأغيار فلا نعود نستنشق سوى أفكارهم ومقولاتهم وتنظيراتهم، ولا تعود لدينا القدرة على مناقشة ذلك وإخضاعه لأي نمط من الموازين والمعايير لاعتقاد خاطئ منا بأننا نفتقر إلى هذه الأخيرة، أقول: إن علينا قبل أن نسلم قيادنا ، كما هو حال معظمنا اليوم ، والساعة . لأولئك الأغيار فنأخذ عنهم ، تحت تأثير عمى غريب وخطير ، ما نعتقده قوانين أفضل لتنظيم شؤون عيشنا ومعاملاتنا، وأنظمة مثل لضبط علاقاتنا الحميمية، داخل بيوتنا وأسرنا...

أن نجيب الإجابة الصائبة والسليمة على الأسئلة الثلاثة المذكورة أعلاه، وربما أيضا، على أسئلة أخرى متفرعة عنها أو ملامسة لصلبها ذاته ، لنتعرف من ذلك على الحقائق التالية(مع إبقاء لفظ " حقائق" بين مزدوجتين لعلمنا بأن الحقيقة ليست هينة ، ولا هي ملك لأي كان ، وبأن إدراكنا لها وقولنا بها يبقيان نسبيين للغاية).

1 . إن الأغيار المنوه عنهم ، ونعني بالأغيار غير المسلمين عموما ، خطوا خطواتهم الأولى ، باتجاه ماهم عليه من التقدم والتطور ، على أنقاضنا نحن ، أو بالأحرى ، بعد أن ساعدونا أيما مساعدة على تقييد عقولنا وكبح تطلعاتنا وإحالة قدراتنا الإبداعية والاجتماعية على ثلاجة التاريخ.

لقد استعمرنا أولئك الأغيار، واستولوا على زبد تراثنا العلمي ، ونهلوا راضين، وعن علم وقصد ودراية ، مما وجدوه بين أيدينا، غداة استيقاظهم من ظلماتهم، من المزايا الفكرية والخلقية ومن خصال لا يتحلى بها إلا المسلمون حقا. ولا غروفي ذاك ، فنحن اليوم نقر فيما بيننا ، وفي قرارات أنفسنا، بأنهم فعلا متحلون بأخلاق الإسلام حتى وهم غير مسلمين ، وملتزمون بحدود الله فيما بينهم حتى ومعظمهم لا يكلف نفسه عناء السؤال عن وجود الله (سبحانه وتعالى عن ذلك) أو عمده!.

نعم، إننا نقول فيما بيننا مقرين بذلك ، لإقرار كله: إنهم يعاملون بعضهم بعضا أحسن، ما تكون المعاملة، وانهم يحافظون فيما بينهم على الأمانة، ويرعون الحقوق ، ويوفون بالعهود ، ويصونون الكرامة ، ويحترمون الالتزامات والمواعيد، ويجعلون شؤون ضعفائهم وأصحاب الحاجات الخاصة لديهم شأنا عموميا ينبغي أن يتكفل بمعالجته المجتمع كله... مجتمعهم هم ... باختصار، إنهم مسلمون في كل شيء باستثناء اعتقاداتهم المتعددة والمختلفة والمتأصلة معظمها في أرض الضلالة.

أليس هذا ما نقر به فيما بيننا، نحن المسلمون، فيما نقر موازاة معه بتخلينا نحن أنفسنا عن تلك المزايا والمثل والقيم وبين أيدينا كتاب منزه مطلق التنزه عن المقارنة مع ما بين أيديهم من الصحف المحرفة والرسالات المشوبة بالتغيير والتزوير والتلفيق؟!! أليست هذه المفارقة وحدها قمينة بأن توقظ ضمائرنا فنعيد النظر في علاقاتنا ببعضنا البعض وعلاقاتنا مع حولنا وما بين أيدينا من النعم ومن مفاتيح كنوز الإصلاح والهداية والعاقبة الطيبة في الدنيا والآخرة على السواء؟!!

2 . إن ما يسميه أولئك الأغيار « حداثة» وأخذنا نحن عنهم ذلك أخذ المقلد الأعمى والتابع المسلوب الإرادة ، إنما هو بشهادة علمائهم ومفكريهم ومنظريهم توجه إلحادي في غاية الشرك والكفر والإلحاد واستعموا إلى ما يقوله أحد هؤلاء ، ويدعى « آلان تورين» (A. Touriane) في كتاب له بعنوان « نقد الحداثة» : Critique de la modérnité,) .(Fayard; Paris, 1993,P.241

إن الحداثة استبدال لفكرة الله بفكرة العلم، وإقصار للاعتقادات الدينية على الحياة الخاصة بكل فرد « ويضيف هذا المفكر الكبير بأن التقدم العلمي واستخدام الوسائل والأدوات الناجمة عن ثورة التكنولوجيا لايكفيان لكي نتصف بالحداثة ، لأن المطلوب إلى جانب ذلك هو أن « نحمي نشاطنا العقلي ضد الدعايات السياسية وضد الاعتقادات الدينية».

يا سلام! وكمايقول المثل العربي الحكيم: « إذا ظهر السبب بطل العجب». وها قد ظهر لنا صلب الحداثة عاريا خاليا من الأصباغ والزخارف ومن التزويقات التي اعتاد أهل الحداثة أن يلبسوها إياها حتى تنطلي على العقول الضعيفة والقلوب التي بها مرض فزادها الله مرضا كما يقول في كتابه العزيز!

إن الحداثة ليست إذن ، إلا تأليها للعقل وللعلم، مع أن الانتباه هنا إلى أن العلم ليس بالضرورة نافعا ، بل هو على ما نرى ونشاهد ونلمس يوميا على جانب كبير من الإضرار والخطورة لما نعانيه من الآثار الوخيمة لهذه الحداثة على البيئة وعلى الطبيعتين الإنسانية والبينية، وحتى على الفضاء الكوني الذي صار هو الآخر يشكو، صامتا مترقبا أمر الله عز وجل، من الأجسام الباردة الميتة والمشعة التي ألقاها « الإنسان الحداثي » والحديث في رحابه دونما حساب لأي عاقبة!

ويكفينا أن نفهم بأن الحداثة تأليه للعقل بدلا من تأليه رب العالمين سبحانه وتعالى، لنفهم بالتالي وندرك خطورة ما يدعونا إليه بعض المقلدين العُمْي الصُم البُكم من حداثيينا أو الداعين فينا إلى اعتناق الحداثة مذهبا وسلوكا ونظاما في العيش وفي تدبير شؤون الدنيا وإهمال شؤون الآخرة... فيالها من دعوة ويالها من عاقبة!!

هاقد رأينا بأم الأعين كيف أن منظري « الحداثة، يدعون ، بصراحة وجلاء بالغين إلى حماية الفعل والإنتاج العقليين ضد الدعايات السياسية، أي ضد كل أنماط الفكر الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الداعية إلى اعتبار الإنسان أساس النشاط الإنمائي وهدفه في آن واحد، والانكباب ، فقط لاغير، على الجانب الربعي من النشاط العقلي وجانب السبق والتسابق ليس إلى الخيرات ولكن إلى الرفاه والرغد والغلبة مهما كانت الوسائل ، ثم حماية الفعل والإنتاج العقليين ضد الاعتقادات الدينية، أي ضد الدين بمنتهى الصراحة لأن الذي يهمنا هنا ليس الاعتقادات المتعددة والمختلفة والتي معظمها لقيط ولا أساس له إلا في أرض الضلالة ، وإنما الذي يهمنا هو الاعتقاد الديني الحق، وقد عناه أولئك المنظرون وجعلوه في نفس الكفة مع الاعتقادات المذكورة .. فما أخسر فكرهم وقولهم وما أخسر الداعين على منوالهم إلى ما يدعون إليه.

إننا لا ندعو إلى نبذ التقدم وإلى إلقاء العلم والتكنولوجيا وراء ظهورنا .. فلسنا بتلك الدرجة من الغباء ومن السذاجة البلهاء ، وإنما هي دعوة إلى إعطاء ما لله لله وما لقيصر لقيصر ، أي إلى التمسك باعتقادنا الديني وبتعاليم الإسلام وخصاله وأخلاقياته ، و في الوقت ذاته، النهل مما يتيحه العلم والتكنولوجيا ويضعانه بين أيدينا من الوسائل والأسباب والأدوات، شريطة أن يبقى ذلك « مجرد وسيلة» لجعل الحياة أكثر يسرا في هذا العصر وبين أهله.

إن الدين . وهذا صلب الفهم الذي لا نريد ملامسته بهذا الجهد الفكري المتواضع . لم ولا ولن يناهض العلم والنشاط العقلي، ولم يسبق له أن عارض تطوير الوسائل والأسباب وتحديثها في كل عصر ، وجعل الحياة بمقتضى ذلك يسرا وأكثر راحة وسلاما واستقرارا، بل إن الدين يدعو إلى كل ذلك ويستزيد الإنسان سعيا إليه بكل وسائل الفهم والبحث التي يتيحها العلم ذاته والتي جاءت مفاتيحها الأولى على أيدي الأنبياء والرسل (الكتابة ، الحساب والأعداد ، الحديد ، صناعة الفلك...) ولكنه يدعو إلى جعل كل ذلك . كما سبقت الإشارة . وسيلة فحسب ، وأداة من الأدوات الدائمة التطور والتجدد والتحديث . أما صلب العقل والقلب فهو مع الله في السر والعلن، وفي السراء والضراء ، وفي البداية والنهاية... ولو أن الناس فهموا ذلك حق فهمه لاجتمع لديهم الخيران معا: خير رضا الله ورضوانه والإدانة له بالعبادة والحب والخشية ، وتلك صفة العلماء الراسخين في العلم، وخير امتلاك ناصية الحياة الدنيا ، لأن الله عز وجل ما سخر جميع ما في الأرض والفضاء الأرضي والفضاء الكوني للإنسان إلا ليؤهله لذلك الامتلاك ولتلك الخلافة ولكن بسلطان وبحق ... وللحديث صلة.

التسامح من منظور إسلامي

■ إعداد الأستاذ: حسني محمد

■ الإسلام دين يراعي حقوق الإنسان وأخلاقياته، وهو منهج وشريعة يحافظ على حقوق الإنسان وواجباته، يدعو إلى الحوار والإقناع، وإعمال العقل، وإحكام التدبير، ويدعو إلى التسامح الذي يعني في المفهوم الإسلامي التعايش في جميع مستويات الحياة. وسماحته تتمثل في المواقف التالية: كإقرار مبدأ التساكن بين الأديان السماوية، والأخذ بمبدأ "لاإكراه في الدين ولاحرج فيه"، ويرفض التطرف والغلو بكل أشكاله الفكري والجسدي، والمحافظة بكل حرص على كرامة الإنسان. يقول الله تعالى في كتابه العزيز: (ولايظلم ربك أحدا) سورة الكهف، الآية:49. ويقول رسول الله (ﷺ):(اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا فإنه ليس دونها حجاب). أخرجه أحمد في مسنده. والإسلام دين العالمية ويرفض الميز العنصري، والتظلم والاستبداد والاحتكار، وليس دين إرهاب أو اعتداء، أو دين سيف كما يدعي المتنطعون.

الإسلام دين عالمية، مبني على الفطرة السليمة وكمال الشريعة:

الإسلام دين تسامح، ودين توبة، ودين مخافة من الله، حيث تعرض أعمال العبد على الله، ولا أحد غيره، مما يعطي للفرد استقلالية على أن يستبد به غيره، أو أن يتمركز حول أنانية نفسه، وهو دين يجب ما قبله إذا دخل الإنسان الإسلام، أو انتمى إليه، ولايمكن الحكم على بني البشر إلا بحسن الخاتمة أو سوئها، ولايكفر أحد من أهل القبلة كما يقول الفقهاء...

ويطلب الإسلام من المسلم أن يتخلق بالآداب الربانية، يقول الرسول (ﷺ): (أدبني ربي فأحسن تأديبي). كما يرفض الإسلام العنصرية والعصبية، والقبلية والقومية، ولايفرق في إطار التقوى بين أسود وأبيض، أو بين ضعيف وقوي، أو بين وزير وخفير.

ويدعو الإسلام إلى الاستقامة التي هي خير من ألف كرامة عند أهل السنة، فهو يكرس الأخلاق وينمي في الإنسان روح الفضيلة التي بنيانها على الفطرة التي فطر الله الإنسان عليها. ولقد أثنى الله سبحانه وتعالى على نبيه الذي تميز بالخلق العظيم، حيث قال فيه تعالى:(وإنك لعلى خلق عظيم) سورة القلم، الآية:4.

الإسلام دين حوار وليس دين عنصرية أو ميز:

لم يكن الإسلام أبدا دين عنصرية أو ميز، بل كان ولايزال دين الحوار والإقناع بالحكمة المثمرة التي تبني الكيان الإنساني والاجتماعي بشكل جدلي لايعرف الخلل أو العطل والانشقاق والاختلاف. فقد تساكن المسلم عبر الأزمان مع اليهودي والنصراني، واحترم حقوق الآخرين، بحيث يتزوج المسلم الكتابية، وكما كانت الأقليات اليهودية والنصرانية تمارس شعائرها الدينية دون مضايقة، بل ظل المسلم في كل العصور يعايش الذمي، ويهنؤه ويبارك له أعماله وأعياده، ويحاوره ويجادله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالتي هي أحسن.

وكان اليهودي والنصراني مطمئنا على ماله وحقوقه وعرضه وشرفه في ظل الإسلام الحنيف الذي لايكره أحدا على اعتناقه، يقول تعالى: (لا إكراه في الدين) سورة البقرة، الآية:256. ولم يكن اليهود يتعرضون في إطار الدولة الإسلامية إلى انتكاسة أو ظلم أو أحقاد إلا إذا قاموا بنقض العهود، والإخلال بالوفاء أو إثارة عصبية عنصرية، أو أحقاد دفينة أو مكر أو خدع مبيت،والذي يتبرأ منه المسلم الحقيقي.

الإسلام ليس دين إرهاب أو اعتداء:

لم يكن الإسلام أبدا دين إرهاب أو اعتداء، بل هو دين رحمة وسلام. وقد كان الرسول (ﷺ) يدعو الصحابة المجاهدين في الغزوات الجامحة، أن لايقطعوا شجرا ولايحرقوا متاعا، ولايقتلوا امرأة أو طفلا أو عجوزا لايحمل السلاح ضد المسلمين، يقول تعالى في سورة البقرة: (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا، إن الله لايحب المعتدين)سورة البقرة، الآية:190. والمسلم الحق هو الذي يحمي معتقده ورسالة نبيه إن هي تعرضت للانتهاك من طرف الآخر. فلولا القتال لهدمت ديار وصوامع يذكر فيها اسم الله، ولضاعت الحرية، ووقعت الفتنة في الحياة والخلل في مقوماتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية. يقول تعالى في كتابه العزيز: (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) سورة الحج، الآية:40.

. اعتبر الفقهاء والعلماء الإرهاب جريمة، لأنه خروج عن شريعة الإسلام، ذلك أن الإسلام نظم الحرب والسلم في إطار شريعة غراء لاتعرف الاعتداء على الغير، وتقيم الحدود الشرعية الحقة بقسطاس مستقيم دون إفراط أو تفريط. ويدعو الإسلام أصحاب الحقوق أن يدافعوا عن حقوقهم المهضومة بالأسلحة المشروعة في حدود مايقرره الإسلام، دون تطرف أو تشدد. لأن التطرف كما يشير إليه كثير من علماء الاجتماع والنفس ظاهرة مرضية توقع العداوة والفتنة بين أبناء البشر، وإذا وقعت من جماعة عريضة، فإنه يجب دراسة العوامل والحيثيات المؤدية إليه (الإرهاب) لاجتثاثه من جذوره، وإعادة الأمور إلى نصابها ولكل ظاهرة اجتماعية أسس تعتمد عليها، ومشاكل يجب معرفتها والوقوف عليها، ولابد من تطويعها على هدي الشريعة الإسلامية ومقاصدها، كالأخذ بمبدإ الحوار والإقناع ورد الجاهل إلى صوابه، بتوجيهه، أو ردعه، أو زجره تحت ضوابط مشروعة، فالإسلام يريد إقامة الرحمة التي لاتستقيم ولاتتأسس وتتأصل إلا بإقامة المساواة والعدل في الأرض، فالرحمة تربية وجدانية إسلامية وعواطف حب واحترام مشاعر الغير.

الإسلام دين إقناع وليس دين سيف:

إن الإسلام لم يأت إكراها للناس بالسيف، وإنما جاء لهم بالإقناع بالحجة والإيمان، وكثير من المفكرين يخطئون حينما يقولون إن توسيع دائرة الإسلام اعتمدت على العنف والتوسع بتفجير القنابل بشكل عشوائي يبتم الصغير ويرمل المرأة أو الرجل، ويقطع مؤشرات التعايش وأوردة الرحمة والحنان والشفقة، وهذا لايزيد المتضررين إلا اشمئزازا، ونفورا، ويأسا وقنوطا. فالأمريكي والأوربي والأسيوي والإفريقي يفهم الإسلام من خلال المسلمين، لا من خلال تشريعاته وقواعده الكاملة، يقول الله تعالى: (لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي) سورة البقرة، الآية:256. فالمؤمن هو الذي يستطيع أن يسير طريق الرشد والفلاح، التي هي الحكمة والتبصر دون أحقاد أو خلفيات مرضية اجتماعية أو نفسية لدفع روح الغي والغل والإكراهات، كالقتل وإراقة الدم والمشانق، والتنكيل والتعذيب في مظاهر يشمئز منها الصغير والكبير، وتنزع عواطف الرحمة من نفوس الملاحظين، فما بال المعايشين، كما يحدث في فلسطين مثلا.

المؤمن ملزم بتطبيق شرع الله ولايكره غيره على ذلك

المسلم لايقبل المساومة في مقدساته، ولا المساس بعرضه، ولا الخدش في كرامته يعتز بعقيدته ويغار على مقدساته بالاعتماد على الفطرة السليمة والعقل اليقظ الفطن، مع أن الحياة الإنسانية وخاصة الإسلامية تعتمد على الالتزام والإكراه وأن يلتزم الإنسان بالشريعة الإسلامية والقواعد القانونية المنظمة لها، وبإكراه الإنسان بعدم العودة إلى الكفر إن هو ارتكب ذنبا أو خالف قواعد الشريعة الإسلامية، التي هي بنيان واحد يرفض الاختلاف والانشقاق والتجزئة والتصدع، لأنها فكر واحد متكامل لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1057
السنة37
الجمعة 6 محرم 1425 هـ
الموافق 27 فبراير 2004 م
المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لاراباس
مدير النشر:
إدريس كرم
رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني
التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي
الثمن:3 دراهم
الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348
عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma
الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط
التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب
ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1057 الجمعة 6 محرم 1425 هـ . الموافق 27 فبراير 2004م

تذكرة الحكام في البحث عن الوعد والالتزام

للمرحوم العلامة عبد السلام السميج

الفصل الثاني في الشروط المناقشة لمقتضى العقد

وفيه مسائل:

المسألة الأولى في النكاح:

ثم الشروط في النكاح تنقسم
إلى ثلاثة على ما قد علم
مايقتضيه العقد أو يناقضه
وثالث بعكس دين ضابطه
فأول مثل اشتراط نفقة
وكسوة وعشرة موافقة
والثاني كالتقتيروالإيثار
عليها أولا إرث كالخيار
وثالث مثل البقاء في البلد
والمنع من تزوج إلى الأبد
فحكم أول جواز لا أثر
لذاك الشرط لدى أولي النظر
والمنع في الثاني وفسخ العقدة
أن يشترط في صلبها بشدة
والحكم في الثالث في المشهور
لزوم ما اشترط في المسطور
مع الجواز فيه والإقدام
عليه صلب عقد أو تمام

المسألة الأولى في الشروط المتعلقة بالنكاح

الشروط المتعلقة بالنكاح على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مايقتضيه العقد، كشرطه أن ينفق على الزوجة، أو يكسوها، أو يبيت عندها، أو يقسم لها، أو لا يضر بها في نفقة ولا كسوة، ولا في عشرة، وذلك جائز لا يؤثر في العقد خللا، ولايكره اشتراطه، ويحكم به، سواء شرط أو ترك، فوجوده وعدمه سواء.

والثاني: مايكون مناقضا لمقتضى العقد، كشرطه على المرأة لايقسم لها، أو أن يؤثر عليها، أو أن لاينفق عليها، أو أن لايكسوها، أو أن لايعطيها ولدها، أو أن لايأتيها إلا ليلا، أو أن لايطأها نهارا، أو أن لا إرث بينهما، أو على أن أحد الزوجين بالخيار، أو على أن الخيار لغيرهما، أو على إن لم يأت بالصداق لكذا فلا نكاح بينهما، أو على أن أمرها بيدها متى شاءت، أو على أن الطلاق بيد غير الزوج. فهذا القسم لا يجوز اشتراطه في عقد النكاح، ويفسد به النكاح إن شرط فيه. ثم اختلف في ذلك، فقيل: يفسخ النكاح قبل الدخول وبعده، وقيل يفسخ الدخول ويثبت بعده ويسقط الشرط، وهذا هو المشهور، وقيل: إن أسقط مشترط الشرط شرطه صح النكاح، وإن تمسك به فسخ.

والقسم الثالث: ما لا يقتضيه العقد ولا ينافيه، وهو معنى قوله: "وثالثا بعكس دين ضابطه"، أي عكس الأول والثاني.

فالأول مايقتضيه العقد، والثاني ما ينافيه، ويكون في القسم الثالث الذي لايقتضيه العقد ولاينافيه للزوجة فيه غرض، كشرطه أن لايتزوج عليها، أو أن لايتسرى، أو أن لا يخرجها من بلدها، أو من بيتها، أو أن لايغيب عنها. فهذا النوع لايفسد به النكاح، ولا يقتضي فسخه، لا قبل الدخول ولابعده، فإن اشترط الزوج شيئا من ذلك في العقد أو بعده، فلا يخلو إما أن يعلقه بطلاق أو عتق أو تمليك أم لا، فإن علقه بطلاق أو عتق أوتمليك، لزمه ذلك، كقوله: إن تزوجت عليها فهي طالق، أو فالزوجة طالق، أو فأمرها بيدها، أو بيد أبيها أو غيره، أو أمر الداخلة بيد الزوجة الأولى، أو بيد أبيها، أو إن تسريت عليها فالسرية حرة، أو نحو ذلك. وسواء كانت أسقطت من صداقها لذلك شيئا أو لم تسقط، وسواء شرطت ذلك في عقد النكاح، أو تطوع به الزوج، فإن فعل شيئا من ذلك لزمه ما شرطه، ولاترجع عليه بما أسقطته من صداقها لذلك، لأن مقصودها قد حصل، كما لو قالت: أسقطت عنك مائة من صداقي، على أنك إن تزوجت علي فأنا طالق، أو فالزوجة طالق. فإن تزوج عليها لزمه الطلاق، ولارجوع لها بما أسقطت، واختلف في جواز النكاح على ذلك ابتداء.

ففي "الموازية" قال: "لايحل الشرط ابتداء، فإن وقع جاز النكاح، ولزم الشرط".

وقال ابن القاسم: "يكره العقد على ذلك".

وقال اللخمي: "أجاز ذلك سحنون ابتداء، وزوج علامه أمته على أنه إن سرق زيتونه كان أمر امرأته بيده".

وأنكر ابن بشير على اللخمي وجود هذا القول، وقال: "فعل سحنون لايدل على أن مذهبه الجواز، لأن قد يستحب مثل ذلك للضرورة أيضا، فإن فعل أحد لايدل على الجواز، إلا من وجبت له العصمة"

قال الشيخ في "التوضيح": "وفيما قاله ابن بشير نظر، لأن العلماء لم تستدل على مذهب العلماء بأفعالهم، لاسيما مثل سحنون الذي هو من أشد الناس ورعا، بل فعل أهل الورع أقوى في الجواز، لأنه يفتي الغير بالجواز، ويتورع هو عن فعله، وقول ابن بشير: إن فعل أحد لايدل على الجواز، إن أراد به لايكون حجة فصحيح، وكذلك قوله، وإن أراد أنه لايدل على أن مذهبه الجواز فممنوع لما ذكرناه" هـ. وهو كلام حسن.

وإن لم يعلق ذلك بطلاق ولاعتق ولاتمليك فالشرط مكروه، ولايلزم، ويستحب له الوفاء بذلك، وسواء وضعت لذلك شيئا من صداقها أم لا، ولا رجوع لها عليه بما وضعته، إلا أن تكون شرطت عليه هذه الشروط بعد العقد، فوضعت عنه لأجل ذلك من صداقها، فإنه إن خالف رجعت عليه بما وضعته.

قال في "كتاب النكاح الأول" من "المدونة": "ومن نكح امرأة على أن لا يتزوج عليها، ولايتسرى، ولايخرجها من بلدها، جاز النكاح، وبطل الشرط، وإن وضعت عنه لذلك من صداقها لم ترجع به، وبطل الشرط، إلا أن يكون عنه عتق أو طلاق، ولو شرطت عليه هذه الشروط بعد العقد، ووضعت لذلك بعض صداقها لزمه ذلك، فإن أتى شيئا من ذلك رجع عليه بما وضعت لذلك، وإن أعطته مالا على أن لايتزوج عليها، فإن فعل فهي طالق ثلاثا، فإن تزوج وقع الطلاق وبانت منه، ولم ترجع عليه بشيء إذا تم لها شرطها"هـ.

وقوله: "طلب عقد أو تمام"، أي بعد تمام العقد.

المسألة الثانية في الشروط في الخلع:

وإن بك الخلع على شرط حرام
فالخلع نافذ والشرط لا يرام
كشرطه الخروج من مسكنها
إثر اختلاع وبقاعدتها

يعني أن الخلع إذا كان على شرط حرام، فإن الشرط غير لازم، ويقع الطلاق بائنا، كما إذا خالعها على أن تخرج من مسكنها الذي هي به، فإن الخلع يلزمه، وتبين منه، ولاتخرج من المسكن، لأن خروج المعتدة من مسكنها حرام، لقوله تعالى: "لاتخرجوهن من بيوتهن". وكما لو خالعته بخمر أو خنزير، فيقع الطلاق، ولاشيء له في الخمر والخنزير، ويراق الخمر، ويقتل الخنزير، سواء كان في يده أو يدها، إلا أن يتخلل الخمر فيكون حلالا للزوج، وكذا لو خالعها على أن تسلفه، أو على أن تؤخره بدين بذمته حال، لأن ذلك سلف جرنفعا، وهو حرام، فيلزمه الطلاق بائنا، ولايلزمها أن تسلفه، ولا أن تؤخره. وكذا لو خالعها على أن يعجل لها ما لا يجب قبوله من السلف، لأنه من باب حط الضمان وأزيدك. وأما إن خالعها على أن لا سكنى لها، فإن أراد إلزامها كراء المسكن، وهو لغيره أو له، وسمى الكراء، لزمها ذلك، وإن أراد على أن تخرج من مسكنه، تم الخلع، ولاتخرج، ولاكراء له عليها. قال في " كتاب إرخاء الستور" من "المدونة" وقال فيها، أيضا، من الكتاب المذكور: "وإن أعطته شيئا على أن يطلق، ويشترط الرجعة، أو خالعها، وشرط أنها إن طلبت شيئا منه، عادت زوجته، أو شرط رجعتها، فشرطه باطل، والخلع يلزمه، ولارجعة له إلا نكاحا فاسدا، قال ابن يونس: لأن شرطه لايحل سنة الخلع، قاله مالك"هـ.